دور النصوص الشرعية في تأصيل ثقافة الرأي والرأي الآخر في الأمور القابلة للاجتهاد

د.أحمد سلمان عبيد المحمدي
كلية العلوم الإسلامية / جامعة الأنبار

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين :

وبعد ــ

فمن دواعي السرور والبهجة أن نتقدم بالمشاركة في المؤتمر الفكري السنوي الرابع الذي ينظمه مركز صلاح الدين الأيوبي للدراسات التاريخية والحضارية / جامعة تكريت ، وتحت عنوان : (الرأي و الرأي الآخر في الحضارة العربية الإسلامية من منظور تأريخي)

فمن خلال النظر ولأول وهلة إلى هذا العنوان ، فإنه تتبين ملامح الموفقية والبراعة وحسن الاختيار التي حازها القائمون على هذا المؤتمر من خلال اختيارهم لهذا العنوان بما تضمنه من أبعاد ثقافية وفكرية وحضارية وملامح إنسانية سامية .

حيث يأتي هذا المؤتمر وتحت هذا العنوان ذي الأهمية الفائقة ، والعالم يموج بالصراع الفكري والأيدلوجي والعقدي والمذهبي والقومي ، فلا نكاد نسمع نشرة أخبار سياسية حتى نسمع خبرا عن وجود صراع في هذه الدولة أو تلك تعود أسبابه إلى انعدام ثقافة تعدد الآراء والإصغاء إلى الآخرين ، احتواء أفكارهم ومناهجهم في ظل خيمة الرأي و الرأي الآخر .

وتتجلى الأهمية الفائقة في مثل هكذا موضوعات تتناولها مراكز الأبحاث في الجامعات العراقية في كونها تكرس ثقافة الرأي والرأي الآخر ، وتساهم في بناء رأي عام يؤمن بالتعددية الفكرية ، ونشوء جيل ينبذ منهج الإقصاء والتهميش والإلغاء ، ومغادرة عقلية الاستبداد والاستئثار بالرأي و التطرف الفكري الذي أصبح في مصاف الأزمات المزمنة التي تعاني منها كثير من دول العالم.

وانطلاقا مما تقدم فقد ارتأيت أن أكتب بحثي الموسوم : ((دور النصوص الشرعية في تأصيل ثقافة الرأي والرأي الآخر في الأمور القابلة للاجتهاد))

وللوصول إلى إعطاء تصور عام عن الموضوع ، وللوصول إلى البرهنة على فرضية البحث ، فقد قسمت البحث من الناحية التنظيمية إلى مقدمة وأربعة مطالب وخاتمة :

ــ تناولت في المطلب الأول : أثر النصوص الشرعية في تدعيم ثقافة الرأي و الرأي الآخر .

ــ وفي المطلب الثاني تناولت :مرتكزات ثقافة الرأي والرأي الآخر في ضوء النصوص الشرعية.

- وفي المطلب الثالث تناولت : البعد الأخلاقي والسياسي في الالتزام بأدب الحوار عند التشاوروأثره في ثقافة الرأي والرأي الآخر.

ــ وفي المطلب الرابع درست : علاقة الفقه السياسي الإسلامي بمفهوم الرأي والرأي الآخر في ضوء النصوص الشرعية والتراث السياسي الإسلامي .

إذ لا يمكن تصور وجود نظام إسلامي بدون الشورى التي تقوم على احترام الآراء واستطلاع الرأي والرأي الآخر في القضايا القابلة للاجتهاد ، والخروج بنتيجة تراعي مصالح الأمة .

ومما تجدر الشارة إليه : هو أن تقييدنا البحث بقضية الرأي والرأي الآخر بالأمور القابلة للاجتهاد ؛ وذلك لأن هناك مساحات واسعة من التفكير يمكن للاجتهاد والتعدد بالرأي أن يطالها ويصل إليها ، لكن بالمقابل هناك مساحات أخرى يعتبر الاجتهاد فيها محظورا ، ولا يمكن تعدد الآراء فيها : كالمسائل الاعتقادية المتعلقة بالإيمان بالله سبحانه وتعالى ، والوحدانية ، ووجود الملائكة ... ونحو ذلك .

فلا يمكن في ظل خيمة الفكر الإسلامي فتح باب الاجتهاد للعقول البشرية لطرح آرائها وأفكارها في مثل هذه القضايا الحساسة ؛ لأنها من المسائل المسلّمة ، فهي من المعلوم من الدين بالضرورة ، وقد حسم القول فيها الوحي الإلهي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

لقد اشتمل الخطاب القرآني والمنهج النبوي على نماذج وأمثلة واضحة تبين منهج الإسلام في الحوار والإصغاء إلى الخصوم واللين معهم وفي هذا يقول الإمام القرطبي : لقد (حض الإسلام على مكارم الأخلاق فينبغي للإنسان أن يكون قوله للناس لينا ووجهه منبسطا طلقا مع البر والفاجر والسني والمبتدع مداهنة أن يتكلم معه بكلام يظن أنه يرضى مذهبه لأن الله تعالى قال لموسى وهارون : فقولا له قولا لينا فالقائل ليس بأفضل من موسى وهارون والفاجر ليس بأخبث من فرعون وقد أمرهما الله تعالى باللين معه وقال طلحة بن عمر :

قلت لعطاء : إنك رجل يجتمع عندك ناس ذوو أهواء مختلفة ، وأنا رجل في حدة ، فأقول لهم بعض القول الغليظ فقال :لا تفعل ، يقول الله تعالى : ((وقولوا للناس حسنا)) فدخل في هذه الآية اليهود والنصارى فكيف بالحنيفي) [1]

وجدير بالذكر : أن المقصود باليهود والنصارى في هذا النص هم أهل الذمة الذين في ديار المسلمين الذين أوصى الرسول الكريم برعايتهم وحمايتهم ما التزموا بالعهود ، أما اليهود و النصارى الحربيين ، الذين جاؤوا غزاة إلى ديار المسلمين ، فهؤلاء ينبغي أن تكون ساحات المنازلة الفيصل بيننا وبينهم إلى أن يكفوا أذاهم ويسحبوا جيوشهم الغازية .

والله أسأل أن يوفق القائمين على المؤتمر لكل ما هو خير لخدمة المسيرة العلمية في عراقنا الحبيب كي تنهض الجامعات العراقية وترتقي نظريا وعمليا إلى مصاف الجامعات المتقدمة في الصعد كافة ؛ لأن ذلك لا يتحقق إلا من خلال إيجاد مناخ عام يؤمن بالتعددية الفكرية ، تفتح من خلاله آفاق حرية الرأي والتعبير ، التي هي النواة الأولى للتغيير والإصلاح ، والتألق والإبداع العلمي ... ومن الله التوفيق .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، الصلاة والسلام على سيد المرسلين .

المطلب الأول

أثر النصوص الشرعية في تدعيم ثقافة الرأي و الرأي الآخر

إن أي أمة لا يمكن لها الرقي العلمي والحضاري إلا من خلال تأصيل ثقافة الرأي والرأي الآخر ، وبما أن مسألة تعدد الآراء في المسألة الواحدة تعني لزوم استقراء الآراء والتشاور مع أهلها من دون إهمال لرأي ،أو إقصاء له ، أو عدم أخذه بنظر الاعتبار في المشاورات والمداولات ، فقد وردت نصوص شرعية من آيات و أحاديث كريمة عن رسول الله ﷺ تؤكد على أهمية احترام آراء الآخرين ، وذلك من خلال تفعيل مبدأ الشورى والحث عليه .

إن تداول الرأي في الحوادث مارسته الشعوب منذ أقدم العصور ، مارسه العرب ، والفرس ، والمصريون ، والهنود ، والرومان ، والصينيون ، ومارسه الملوك والفراعنة ، ولم يوجد شعب ولا أمة إلا مارسته في القديم والحديث ( ) ، ومن الأمثلة على ممارسته قديماً ما ذكره القرآن الكريم من أمر ملكة سبأ ، عندما وصلها كتاب من سليمان عليه السلام يدعوها فيه إلى الإذعان لله بالوحدانية والربوبية

---

[1] الجامع لأحكام القرآن : للقرطبي : / .

( ) فقه النصر و التمكين : د. علي الصلابي ، ص .

، وإلى الطاعة والإسلام ، عندها دعت الملكة الملأ : وهم أشراف الناس مــن قومهــا و وجــوههم المقربون ( ) إليها ، وقد حكى القرآن الكريم ذلك بقوله تعالى ژ گ ں ں ڻ ڻ ڐ ڐ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ چ ( ) ، ومن هذه الآية نعلم أن مبدأ الشورى مبدأ قديم ، قد اهتدى إليه الناس في عــصورهم الأُوَل ، وعملوا به في القرون القديمة ؛ لأن فائدته واضحة ، وثمرته جلية ، لا يختلف فيها اثنان ؛ لذلك أكدت الشريعة الإسلامية عليه باعتباره أصلاً من أصولها في سياسة الدولة ، ومبدأ من المبادئ التي يقــوم عليها نظام الحكم في الإسلام ، وأصلا من أصول الثقافة الإسلامية ( ) .

إن القرآن الكريم يؤسس لمبدأ الشورى في نظام الحكم ، فهو يقص علينا قصة ملكة سبأ عندما تلقــت تهديد سليمان عليه السلام بالزحف على مملكتها ، إذ أن الملكة لم تنفرد باتخاذ القرار لوحدها ثم تطلب تنفيذه ، وإنما جمعت أشراف قومها من أهل الشورى ، وطلبت منهم الآراء في هذا الموضوع الخطير .

ثم إن السيرة العملية التطبيقية لرسول الله ﷺ ومنهجه في الحكم قد التزمت بالشورى وأكدتها أيضا ، فهي حاضرة في كل المواقف العظيمة التي تحتاج إلى اتخاذ قرار هام على مستوى الأمة ، وهذا مــا حفلت به السنة النبوية ، حيث اشتملت على تطبيقات واسعة للشورى ، وهذا يدل على أهميتها وثوابها العظيم ، وكونها ضرورة شرعية ، وفيما يأتي نماذج من السنة القولية والتطبيقات العملية للــشورى باعتبارها لبنة أساسية في تدعيم ثقافة الرأي والرأي الآخر :

- فمن السنة القولية :

- فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ خطب فحمد الله وأثنى عليــه وقــال : ((مــا تشيرون عليَّ في قومٍ يسبون أهلي ما علمتُ عليهم من سوء قط)) ( ).
- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال :((ما رأيت أحداً أكثر مشورةً لأصحابه من رسول الله ﷺ)) ( ).

( ) الشورى بين الأصالة و المعاصرة : عز الدين التميمي ، دار البــشير ، عمــان - الأردن ، ط / هـــ - م ، ص .

( ) سورة النمل : الآيات : - .

( ) دعوة الرسل إلى الله تعالى : محمد أحمد العدوي ، مطبعة البابي الحلبي ، مــصر ، ط / هـــ - م ، ص .

( ) صحيح البخاري: / ، برقم كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب قول الله تعالى وأمــرهم شورى بينهم وشاورهم في الأمر .

( ) سنن الترمذي : / ،برقم ،كتاب الجهاد ، باب ما جاء في المشورة .قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري : / (رجاله ثقات إلا انه منقطع).

- وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ((ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان ، بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه ، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه ، فالمعصوم من عصم الله تعالى)) ( ).
- وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ((المستشار مؤتمن)) ( ) .

- ومن السنة العملية التطبيقية :

- **استشارة النبي ﷺ أصحابه في معركة بدر**

فقد اعتمدت المنهجية السياسية في العهد النبوي على مبدأ الشورى في معظم المواقف ، فكانت الحياة السياسية الإسلامية الأولى تعتمد عليها ، ولكن الحدث الهام الذي يركز عليه معظم الكتاب المسلمين والذي يظهر فيه بجلاء نهج الرسول ﷺ في عملية اتخاذ قرارات مهمة تعود نتائجها على الجماعة برمتها ، ويبين بوضوح الكيفية التي اتبعها في تطبيق مبدأ الشورى ، هو المداولة التي سبقت قرار مواجهة جيش قريش في موقعة بدر الكبرى ( ) ؛ وذلك لأن معركة بدر هي أول مواجهة عسكرية وصِدام مسلح يخوضه المسلمون بعد تأسيس دولتهم ، ويتبين مدى أهمية اتخاذ مثل هكذا قرار من خلال دعاء رسول الله ﷺ ، فعن عمر بن الخطاب ﷺ قال : ((لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلا ، فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة ثم مدَّ يديه فجعل يهتف بربه اللهم أنجز لي ما وعدتني اللهم آتني ما وعدتني اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض ، فما زال يهتف بربه ماداً يديه مستقبل القبلة ، حتى سقط رداؤه عن

( ) صحيح البخاري : / ،برقم ،كتاب الأحكام ، باب بطانة الإمام وأهل مشورته البطانة الدخلاء

( ) سنن أبي داود : / برقم ، كتاب الأدب ، باب في المشورة ، و سنن الترمذي ، / برقم كتاب الزهد عن رسول الله ﷺ ، باب ما جاء في معيشة أصحاب النبيﷺ ، و قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح غريب ، ورواه الترمذي من طريق آخر و قال عنه : حديث حسن ، باب إن المستشار مؤتمن ، و المستدرك على الصحيحين للحاكم : / ، برقم ، وقال هذا صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، وأورد الهيثمي في مجمع الزوائد / ، باب ما جاء في المشاورة طرقاً عديدة لهذا الحديث حكم على بعضها بالصحة وبين ما في القسم الآخر من علل في الإسناد ، فحكم على كل ما يليق به . وقال عنه أبو بكر الكناني في مصباح الزجاجة: لأحمد بن أبي بكر بن إسماعيل الكناني (ت هــ) ، تحقيق : محمد المنتقى الكشناوي ، دار العربية ، بيروت ، ط / هــ ، / ، برقم بعد أن أورده من طريق ابن مسعود ﷺ ما نصه (هذا إسناد صحيح رجاله ثقات) .

( ) العقيدة والسياسة معالم نظرية عامة للدولة الإسلامية : لؤي صافي ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ط / هــ ، م ، ص .

منكبيه فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال : يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك)) ( ) .

و وفقاً للمعايير السياسية والعسكرية ، فإن أي خسارة ميدانية لأي نظام حديث النشوء له عواقب وخيمة، ولاسيما إذا أخذنا بنظر الاعتبار حالة الجبهة الداخلية ، فاليهود وما يشكلونه من خطر هم داخل المدينة ، وتربص المنافقين قائم على أشده ، وقلق المسلمين الجدد وترددهم ، وموقع المهاجرين بالنسبة للأنصار وهم الأكثرية وأهل البلد .

(فبعد خروج رسول الله ﷺ من المدينة على رأس سرية من مقاتلي المسلمين ؛ لاعتراض قوافل قريش القادمة من الشام بقيادة أبي سفيان بن حرب ، والمحملة بأموالهم وبضائعهم ، وصلت إليه أنباء اقتراب جيش قريش) ( ) حيث ، (أتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عيرهم ، فأستشار الناس ، وأخبرهم عن قريش ، وقام أبو بكر الصديق ﷺ فقال : وأحسن ، ثم قام عمر بن الخطاب ﷺ ، فقال: وأحسن ، ثم قام المقداد بن عمرو ﷺ ، فقال : يا رسول الله ، امض لما أراك فنحن معك ... ثم قال رسول الله ﷺ : أشيروا علي أيها الناس ، وإنما يريد الأنصار ، وذلك أنهم عدد الناس ، وأنهم حين بايعوه بالعقبة قالوا : يا رسول الله ، إنا براء من ذمّتك حتى تصل إلى ديارنا ، فإذا وصلت إلينا ، فأنت في ذمّتنا ، نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا ، فكان رسول الله ﷺ يتخوف ألا تكون الأنصار ترى عليه نصرة إلا ممن دهمه بالمدينة من عدوه ، وأن ليس عليهم أن يسيروا إلى عدو من بلادهم ، فلما قال ذلك رسول الله ﷺ : قال له سعد بن معاذ ﷺ : والله لكأنك تريدنا يا رسول الله ؟ قال : أجل . قال : فقد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا ، على السمع والطاعة ، فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك) ( ).

وتظهر وقائع المداولة التي أدت إلى قرار القتال أن رسول الله ﷺ كان يدرك بجلاء ضرورة إجماع جمهور المسلمين على قرار الحرب ، فلم يبادر إلى إعلانها دون مشورتهم ، ولم يكتف بإجابة الأقلية المتمثلة بقيادات المهاجرين من أمثال أبي بكر ، وعمر ، والمقداد بن عمرو ﷺ ، بل أَلَحَّ في الطلب إلى أن أبدت الأنصار موافقتها على القتال على لسان كبيرها وسيدها سعد بن معاذ ﷺ ، وإن وقائع مداولات معركة بدر تظهر بوضوح حرص رسول الله ﷺ على استشارة أصحابه ، وحرصه

( ) صحيح مسلم : / ،برقم كتاب الجهاد والسير باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم .

( ) العقيدة و السياسة : لؤي صافي ، ص .

( )السيرة النبوية :لأبي محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعروف بابن هشام (ت هــ)،تحقيق :طه عبد الرؤوف سعد ،دار الجيل ، بيروت ، ط / هــ، / .

على موافقة الأنصار التي شكلت آنذاك الأغلبية ، أو "عدد الناس" حسب تعبير ابن هشام ، لإمــضاء قرار الحرب .

وتتأكد أهمية ، بل ضرورة الاحتكام إلى مبدأ الشورى قبل الشروع بالقتال ، كما لاحظ ناقــل الخبر نظراً لتجاوز نتائج القرار حدود صلاحيات القيادة السياسية المتمثلة بالرسول الكريم ﷺ ؛ ذلــك أن ميثاق البيعة الذي أعلن ميلاد الكيان الإسلامي اقتصر على إلزام الأنصار بالدفاع عن رســول الله ﷺ وصحبه ضمن المدينة ، ولم يشمل قتال قريش خارجها ( ).

- **استشارة النبي ﷺ أصحابه في معركة أحد :**

ويتكرر مبدأ الشورى في السيرة العملية لرسول الله ﷺ عند اتخاذ القرار في معركة أحــد ، (فعندما زحفت قريش إلى المدينة بخيلها ورجالها للثأر ليوم بدر ، فتروي المصادر الحديثية والتأريخية أن رسول الله ﷺ اجتمع بالمسلمين قبيل المعركة واقترح عليهم أن يتحصنوا بالمدينة ، ويقاتلوا قريــشاً فيها ، قائلاً "فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا ، فإن أقاموا ، أقاموا بشرّ مقام ، وإن هــم دخلوا علينا قاتلناهم فيها)( ) لكن اقتراح الرسول ﷺ لم يكن الاقتراح الوحيد المطروح على طاولــة النقاش ، فقد تقدم بعضهم باقتراح يقضي بخروج المسلمين للقاء جيش قريش على أطراف المدينــة ، ودار حوار بين مؤيدي الاقتراحين انتهى فيما يبدو إلى ترجيح الجمهور لاقتراح الخروج ممــا حــدا برسول الله ﷺ إلى النزول عند رغبة جمهور المسلمين ، فغادر المجلس إلى داره استعداداً للخروج ، ويتابع ابن هشام روايته قائلاً: " فقال رجل من المسلمين ، ممن أكرمه الله بالشهادة يوم أحد ، وغيره ممن كان فاتته وقعة بدر : يا رسول الله ، اخرج بنا إلى أعدائنا ، لا يرون أنا جبنّا عنهم وضــعفنا ؟ فقال عبد الله بن أُبي بن سلول : يا رسول الله ، أقم بالمدينة لا تخرج إليهم ، فوالله ما خرجنا منها إلى عدو لنا قط إلا أصاب منا ، ولا دخلها إلينا إلا أصبنا منه ، فدعهم يا رسول الله ..فلم يــزل النــاس برسول الله ﷺ ، الذين كان من أمرهم حب لقاء القوم ، حتى دخل رسول الله ﷺ بيته ، فلــبس لأمتــه ... ثم خرج عليهم ، وقد ندم الناس وقالوا : استكرهنا رسول الله ﷺ ولم يكن لنا ذلك ، فلمــا خــرج عليهم رسول الله ﷺ ، قالوا : يا رسول الله استكرهناك ولم يكن ذلك لنا ، فإن شئت فاقعد صــلى الله عليك ، فقال رسول الله ﷺ:((لا ينبغي لنبي يلبس لأمته فيضعها حتى يحكم الله)) ( ) وفــي روايــة

( ) العقيدة و السياسة : لؤي صافي ، ص .

( ) السيرة النبوية : ابن هشام ، / ، وتاريخ الطبري : لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بــن خالــد الطبري ،(ت هــ)، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط / هــ، / .

( ) صحيح البخاري : / كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب قول الله تعالى: وأمرهم شورى بينهم وشاورهم في الأمر وأن المشاورة قبل العزم والتبين لقوله: فإذا عزمت فتوكل على الله .

أخرى ((ما ينبغي لنبي لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل))( ) ، فخرج رسول الله ﷺ في ألف من أصحابه ( ) .

إن النص السابق ذاتي الوضوح ، لا يحتاج إلى مزيد من الشرح والتفصيل ، فهو يؤكد حقيقتين هامتين : **الأولى** : أن رسول الله ﷺ اعتمد مبدأ الشورى أساساً لقرار الخروج لمواجهة قريش خارج المدينة ، ولم يبادر إلى إمضاء رأي فرد أو حكم شخصي .

و**الثانية** : أنه ﷺ تراجع عن اقتراحه في التحصّن داخل المدينة ، وأمضى الاقتراح الذي لاقى دعم الأغلبية على مضض ، ولم يحمل الناس على رأيه ولو شاء لفعل .. ولو فعل لتبعه المسلمون ، وخضعوا لقراره راضين مختارين ( ).

- **استماع النبي ﷺ لمشورة سلمان الفارسي ﷺ في حفر الخندق :**

يعد حفر الخندق من الإجراءات الدفاعية التي اتخذها النبي ﷺ للدفاع عن المدينة المنورة ، وكان ذلك بمشورة من الصحابي الجليل سلمان الفارسي ﷺ ، قال الواقدي: (... قال سلمان ﷺ يا رسول الله : إنا كنا بأرض فارس ، وتخوفنا الخيل ، خندقنا علينا ، فهل لك يا رسول الله أن تخندق ؟ فأعجب رأي سلمان المسلمين) ( ).

وبعد المشاورة استقر الرأي على حفر الخندق ، وذهب النبي ﷺ هو وبعض أصحابه ؛ لتحديد مكانه ( ) ، ولقد انعكست الشورى التي أفرزت حفر الخندق فوائد عظيمة للمسلمين ، وكانت لها نتائج كبيرة (فلقد كان حفر الخندق مفاجئة مذهلة لأعداء الإسلام ، وبفضل الشورى أبطلت خططهم التي رسموها ، وكان من عوامل تحقيق هذه المفاجأة ما قام به المسلمون من إتقان رفيع لسرية الخطة

( ) مصنف عبد الرزاق : لأبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت هــ) ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط / هــ ، / ، مسند الإمام أحمد: / ، المنتقى لإبن الجارود : لأبي محمد عبد الله بن علي بن الجارود ، النيسابوري ، (ت هــ) ، تحقيق : عبد الله عمر البارودي ، مؤسسة الكتاب الثقافية ، بيروت ، ط / هــ - م ، / ،برقم باب ما جاء في لبس الدرع ، وقال الهيثمي : رواه أحمد و رجاله رجال الصحيح ، مجمع الزوائد: / .

( ) السيرة النبوية :لإبن هشام : / .

( ) العقيدة والسياسة : لؤي صافي ، ص .

( ) المغازي : للإمام الواقدي (ت هــ) ،تحقيق مارسدن جونس ،عالم الكتب ، بيروت ،ط / هــ - م ، / ، والطبقات الكبرى :لأبي عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي ، (ت هــ) تحقيق : زياد محمد منصور ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، ط / هــ / .

( ) السيرة النبوية : د. علي محمد الصلابي ، دار بن كثير ، دمشق ، بيروت ، ط / هــ - م / .

وسرعة إنجازها ، وكان هذا الأسلوب الجديد المبتكر في القتال له أثر في إضعاف معنويات الأحزاب ،وتشتيت قواتهم) ( ).

- **أهمية الشورى وتعدد الآراء في الحياة السياسية :**

● تبرز أهمية الشورى من اهتمام الشارع بها ، ومن حاجة الأمم إليها ، فالله تعالى أمــر نبيــه ومــصطفاه ﷺ بالــشورى ، ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ آل عمران: ١٥٩ ( ) ، مــع نزول الوحي وإمكان إغنائه به عن مشاورتهم ، ولو لم يكن في ذلك إلا الإعلام بما في أمــر الشورى من الفضل ، والاقتداء به في ذلك لكفى ، ومن ثم أثنى على الصحابة ، سواء كانوا من المهاجرين أو الأنصار ، إذ أصبح أمرهم كله مبنياً على الشورى ؛ ولهذا جاء هذا المدح والثناء بين ركنين عظيمين من أركان الإسلام وهما الصلاة والزكــاة ﭧ ﭨ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ( ) ،ثم إن النبي ﷺ و هو أعظم من يستجيب لنــداء ربه أجاب ذلك النداء الحبيب فطبق مبدأ الشورى ، فكان يستــشير فـــي الــشأن العظــيم ، كالحروب و في الشأن اليسير ، كمفارقة الزوجة ، وقد حفلت السنة النبوية بتطبيقات عمليــة واسعة للشورى ، فعن أبي هريرة ﷺ قال :((ما رأيت أحداً أكثر مــشورةً لأصــحابه مــن رسول الله ﷺ)) ( ).

وهذا يدل على أهمية الشورى وثوابها العظيم ، فهي إذاً ضرورة شرعية ( ) ، إذ هي امتثال لأمر الله بها ، واقتداء برسول الله ﷺ ،وهذه المزية أعظم كل المزايا والخصائص المتــوافرة فـــي الــشورى وأهميتها ( ).

- نظرة في مواقف العلماء والمفكرين المعاصــرين مــن الــشورى وتعــدد الآراء:

( ) فقه النصر والتمكين : د . علي محمد الصلابي ، ص .

( ) سورة آل عمران : آية : .

( ) سورة الشورى : آية : .

( ) سنن الترمذي : / ،برقم ،كتاب الجهاد ، باب ما جاء في المشورة .قال الحافظ ابن حجــر في فتح الباري : / (رجاله ثقات إلا انه منقطع).

( ) فقه الشورى : د. علي سعيد الغامدي ، ص .

( ) فقه النصر و التمكين : د. علي محمد الصلابي ، ص .

فقد برزت مواقف للعلماء والمفكرين المعاصرين أتسمت بالتأكيد على مبدأ الشورى وتعدد الآراء ، وكونه من العناصر الأساسية ؛ لقيام النظام السياسي الإسلامي ، وفيما يأتي جانب من تلك المواقف :

- يقول الإمام الشهيد حسن البنا - رحمه الله - : (ومن حق الأمة الإسلامية أن تراقب الحاكم أدق مراقبة ، وأن تشير عليه بما ترى فيه من الخير وعليه أن يشاورها وأن يحترم إرادتها ، وأن يأخذ بالصالح من آرائها ، وقد أمر الله الحاكمين بذلك فقال : ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ( ) ، وأثنى على المؤمنين خيراً فقال : ﮊ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ( ) نصت على ذلك سنة رسول الله ﷺ ( ) .
- وقال الأستاذ المودودي رحمه الله - : (والأمير حتم عليه أن يسوس البلاد بمشاورة أهل الحل و العقد ، أعضاء مجلس الشورى ، وهو أمير ما دام مزوداً بثقة الأمة) ( ).
- وقال : (... وخامسة قواعد الدولة الإسلامية حتمية تشاور قادة الدولة وحكامها مع المسلمين والنزول على رضاهم ورأيهم وإمضاء نظام حكم الشورى) ( ).
- وقال شيخ الأزهر الشيخ شلتوت : (أما الشورى : فهي أساس الحكم الصالح ، وهي السبيل إلى تبين الحق ، ومعرفة الآراء الناضجة ، أمر بها القرآن ، وجعلها عنصراً من العناصر التي تقوم عليها الدولة الإسلامية ، ففي الكتاب الكريم سورة عرفت باسم "الشورى" ؛ وقد سميت بذلك ؛ لأنها السورة الوحيدة التي قررت الشورى عنصراً من عناصر الشخصية الإيمانية الحقة ، ونظمتها في عقدٍ حياته طهارة القلب بالإيمان والتوكل ، وطهارة الجوارح من الإثم والفواحش ، ومراقبة الله بإقامة الصلاة ، وحسن التضامن بالشورى) ( ).

( ) سورة آل عمران : آية : .
( ) سورة الشورى : آية : .
( ) مجموعة الرسائل : للأستاذ الشهيد حسن البنا ، دار الدعوة ، الإسكندرية مصر ، ط / هــ - م ، ص .
( ) نظام الحياة في الإسلام : النظام السياسي ، ترجمة محمد عاصف حداد ، دار الفكر ، دمشق ، ط / هــ - م ، ص .
( ) الخلافة و الملك : للأستاذ أبي الأعلى المودودي ، ترجمة أحمد إدريس ، دار القلم ، بيروت ، ط / هــ - م ، ص .
( ) الإسلام عقيدة وشريعة : للشيخ محمد شلتوت ، دار الشروق ، القاهرة ، ط / م ، ص .

- وقال الشيخ محمد أبو زهرة - رحمه الله -: (أما الشرط الثالث ، فهو أن يكون الاختيار بشورى المسلمين ، والأصل في ذلك هو أن الحكم الإسلامي في أصل وضعه شورى ؛ لقوله تعالى : ﮋ ﭬ ﭭ ﭮﭯ ﮊ ( ) ، ولالتزام النبي ﷺ في عامة أموره التي كانت تهم المسلمين ، ولم ينزل فيها وحي ، وإذا كان الحكم الإسلامي في أصله شورياً ، فلا بد أن يكون الاختيار شورياً أيضاً ؛ لأنه لا يمكن أن يكون الحكم شورياً ، ويكون الخليفة مفروضاً بحكم الوراثة ؛ إذ أن الوراثة والشورى نقيضان لا يجتمعان في باب واحد ( ).
- وقال الشيخ عبد الوهاب خلاف : (والناظر في آيات القرآن الكريم وصحاح السنة يتبين أن الحكومة الإسلامية دستورية ، وأن الأمر فيها ليس خاصاً بفرد ، وإنما هو للأمة ممثلة في أهل الحل والعقد ؛ لأن الله سبحانه وتعالى جعل أمر المسلمين شورى بينهم ، وساق وصفهم بهذا مساق الأوصاف الثابتة ، والسجايا اللازمة .... وإذا كان المسلمون أهملوا تنظيم هذه الشورى حتى ذهبت روحها ، وجرؤ بعضهم أن يقول : إنها مندوبة لا محتومة ، وأغفلوا المسؤولية حتى أستقل بأمرهم ولاتهم ، وخرست الألسنة عن النصيحة ، وصمت الآذان عن سماعها ، وأضاعوا البيعة ومسخوها حتى جعلوها أمراً صورياً ، لا يحقق الغرض منها ولا يشعر بإرادة الأمة ...) ( ).
- وقال الأستاذ عبد القادر عودة - رحمه الله - : (والإسلام يرد نظام الحكم في الجماعة إلى الشورى ؛ لتستطيع الجماعة أن تختار الحكام الصالحين للقيام بأمر الله في الجماعة ؛ ولتستطيع أن تعزلهم كلما عجزوا عن أداء واجباتهم أو حادوا عن الطريق القويم ، كما أن نظام الشورى يحول بين الحكام وبين الاستئثار بشؤون الجماعة ، إذ يجعل الجماعة رقيبة على الحكام الذين اختارتهم ، وقد جاء الإسلام بنظام الشورى وطبقه المسلمون قبل أن تعرضه الدول الغربية بأحد عشر قرناً على الأقل ، وقد فرض هذا النظام بقوله تعالى : ﮋ ﮞ ﮟ ﮠ ﮊ ( ) ، وبقوله : ﮋ ﭬ ﭭ ﭮﭯ ﮊ( ) ( ).

( ) سورة آل عمران : آية : .
( ) تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد :للشيخ محمد أبي زهرة ، دار الفكر العربي ، القاهرة ،ط/ بدون تاريخ ، ص .
( ) السياسة الشرعية أو نظام الدولة في الشؤون الدستورية و الخارجية و المالية :للأستاذ عبد الوهاب الخلاف ، ص .
( ) سورة الشورى : آية : .
( ) سورة آل عمران : آية : .

- وقال الأستاذ عبد الكريم زيدان - حفظه الله - : (إن وكالة رئيس الدولة عن الأمة وكالة مقيدة ، ومن قيودها أن يشاور الأمة ؛ لأن المشاورة ورد بها النص الشرعي ، فلا تملك الأمة التنازل عنها ؛ لأن سلطاتها محدودة بحدود الشرع فلا تستطيع أن تفوض وكيلها رئيس الدولة استعمال سلطانها إلا بهذا القيد ، قيد الشورى ، سواء صرحت بهذا عند انتخابه أو لم تصرح) ( ).

- الأبعاد الأخلاقية في تفعيل مبدأ الشورى وتعدد الآراء :

تضمن مبدأ الشورى على أبعاد أخلاقية ؛ وذلك لأن الشورى التي هي من مرتكزات النظام السياسي الإسلامي هي ذات صبغة ديني، وقد جعل الإسلام المشاورة من العبادات التي يتقرب بها إلى الله سبحانه وتعالى ؛ لما فيها من الأجر والثواب ؛ ولأنها تبث روح الألفة بين السلطة والشعب .

وسأبين في النقاط الآتية أبرز الأبعاد الأخلاقية لمبدأ الشورى وتعدد الآراء :

- إن في الشورى تسميحاً لخواطر المشاورين ، واستعطافاً لقلوبهم ، وتطييباً لنفوسهم ، وإذهاباً لضغائنهم ( ) ، وهذه خصائل أخلاقية لا تأتي إلا من خلال تفعيل الشورى وتطبيقها .

- والمجتمع الذي تطبق فيه الشورى على الطريقة الشرعية تشعر فيه الأفراد بإنسانيتهم ويحسون أنهم يحققون ذواتهم ( )، وإن أعظم أثر أخلاقي يسعى الإسلام إلى تأصيله من خلال الشورى ، هو الحفاظ على إنسانية الإنسان ، واستشعاره لها ، ونجد أن ذلك المجتمع مترابط يسود بين أفراده الإخاء والمحبة ، وتلاحم الصفوف والألفة والرحمة .

- إن الأمة التي تمارس الشورى تتمتع باستقلال شخصيتها ، فتجدها مهتمة بأمر دينها ودنياها ، فهي لا تنصهر وتنهار أمام موجات الغزو الفكري والأخلاقي الموجهة إليها ؛لأنها تملك تقرير مصيرها .

( ) الإسلام و أوضاعنا القانونية : للأستاذ عبد القادر عودة ، دار المختار الإسلامي ، القاهرة ، ط / هــ ، ص .

( )الفرد والدولة في الشريعة الإسلامية : أ.د. عبد الكريم زيدان ، مطبعة سلمان ألأعظمي ، بغداد العراق ، ط / م ، ص - .

( ) فقه الشورى : د. علي سعيد الغامدي ، ص .

( ) المصدر نفسه : ص .

- والشورى مدرسة تربوية أخلاقية للأمة الإسلامية ، فهي تربيها على الحرية في إبداء الرأي ، والشجاعة في القول ، فلا تذوب شخصيتها ، ولا تتأثر سلبياً بشخصية غيرها من الأفراد والأمم ( ).

- والشورى تجعل المسلم دائماً مهتماً بأمر المسلمين ، إذ إن المستشار المؤتمن تجده يشغل جل وقته بسببها ، ويقدم عصارة فكره من أجل جلب مصلحة ، أو رفع مضرة عنهم ، (فهي وقاية للمجتمع من الانحراف ، إذ أنها تولد الثقة بين الحاكم والمحكوم ، فتزول الأحقاد ، ويذهب التدابر والتنازع ، وتكون صمام أمان ، وحاجزاً عن الفتن والثورات والقلاقل ؛ لأنه بالشورى يسمح للأفراد أن يعبروا عن آرائهم بحرية ويدلوا بدلوهم ، فإما أن يؤخذ بما أدلو به ، وإما أن يقتنعوا ببطلانه ، وعلى كلا الحالين ترتاح النفوس ، وتزول الضغائن ، هذا إذا كان المقصود الوصول إلى الحق والتجرد عن الهوى ، وهو الأساس الذي من أجله شرعت الشورى ( ) .

ويوجز ابن العربي المالكي البعد الأخلاقي للشورى بقوله : (والشورى ألفة للجماعة ، مسبار للعقول ، وسبب إلى الصواب ، وما تشاوروا إلا هدوا) ( ) ، وينقل ابن عبد ربه في العقد الفريد تلخيص سيدنا علي ﷺ للبعد الأخلاقي والسياسي في تشريع الشورى فيقول : وفي الشورى سبع خصال :

- استنباط الصواب - اكتساب الرأي - التحصن من السقطة - حرز من الملامة - نجاة من الندامة - ألفة القلوب - إتباع الأمر ( ).

وبالجملة : فإن النظام السياسي الإسلامي يجعل للفرد الذي يعيش في ظل الدولة الإسلامية ،حقوقا والتزامات أخلاقية تقع على عاتق القيادة، فالمواطن يجب أن يعلم ما يجري في حياة الأمة من شؤون تتصل بالمصلحة للجماعة ، وعليه أن يشارك فيها بقدر ما تتيحه له قدراته من أجل تحقيق مصالح الدولة وأهدافها ( ) ، وهذا يميز نظام الشورى الإسلامي ، من حيث شموليته وتقديره لكل فرد مسلم

( )فقه الشورى : د. علي سعيد الغامدي ، ص .

( ) المصدر نفسه : ص .

( ) أحكام القرآن : لإبن العربي المالكي ، / .

( ) العقد الفريد : لإبن عبد ربه ، / .

( ) حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام و إعلان الأمم المتحدة : الشيخ محمد الغزالي ،دار التوفيق النموذجية ، مصر ، ط / هـ - م ، ص .

، فكل أمر يهم المسلمين يجب أن يكون رأي فيه ( ) ، وهذه هي أخلاق القيادة المسلمة تجاه الفرد المسلم .

- الآثار السياسية لمبدأ الشورى وتعدد الآراء :

إن الشورى تمثل عملاً سياسياً ضرورياً لنجاح الدولة في تدبير شؤون الأمة ، وهي تشكل منهجاً حيوياً يتوقف عليه انتصار الحق في المجتمع ، والتزام السداد في شؤونه ، كما يتوقف عليه احترام العقل في الدولة واحترام الإنسان في ظلها ، وهي ضمانة سياسية لاستقرار الدولة وحمايتها من عوامل الضعف ، وهي سبيل رئيس لسلامة المجتمع من الفوضى ، وسلامة الدعوة الإسلامية من العثار حين أداء دورها العظيم في العالم ، وهي تتطلب انتخاب الهيئة القيادية السياسية والاجتماعية لمراقبة الخطوط السياسية وضبطها طبقاً لأحكام الشريعة التي تجسد المصالح الحقيقية للأمة ( )

وفيما يأتي بيان لأبرز الآثار السياسية التي تترتب على تطبيق مبدأ الشورى وتعدد الآراء :

- إن أي قضية من القضايا السياسية إذا تم البت بها عن طريق الشورى ، فإن نسبة الخطأ تقل ، وتكثر نسب الإصابة ( ) ، حيث يتعرض الحكام ، والقادة ، والرؤساء في كثير من الأحيان والظروف إلى اندفاعات عاطفية ، تكون ذات نتائج سلبية وآثاراً سيئة على حياة الأمة ، وفي هذه الحالة تكون الشورى من أنجح الضوابط لكبح جماح العواطف لدى الحكام ، والقادة ، والرؤساء ففي المشاورة عصمة لهم في الإقدام على أمور تضر بالأمة وقد لا يشعرون بضررها ( ).
- والشورى نوع من الحوار المفتوح ، ومن أحسن الأساليب لتوعية الرأي العام وتنويره ، وتعزيز عوامل الحب والثقة بين الحاكم والمحكومين ، والقائد والمقودين ، والرئيس والمرؤوسين ، وهو خير أسلوب في الحكم لعزل الشكوك ، ونفي الهواجس وإزالة الأوهام ، و وقف الإشاعات التي تنمو عادة في ظل الاستبداد ، وتنتشر في عتمة الغوغائية ( ) فالقيادة السياسية إذا فعَّلت نظام الشورى، فإنها تتخلص من العهدة ، إذ أن القرار الفردي

( ) إسلامية لماذا؟ معالم الدولة القادمة : د. سعد الدين الحسيني ، دار البينة ، القاهرة ، ط / هــ - م ، ص .

( ) فقه النصر و التمكين : د. علي محمد الصلابي ، ص .

( ) فقه الشورى : د . علي سعيد الغامدي ، ص .

( ) فقه النصر التمكين : د. علي محمد الصلابي ، ص .

( ) المصدر نفسه : ص .

كثيراً ما تتوجه إليه الانتقادات ، فهو متهم من قبل الجمهور ، والقرار الجماعي هو الأقــرب إلى الإصابة ، فلو تفرد أحد بالأمر وأخطأ لوجه إليه اللوم على ترك الاستــشارة ، والقــرار الجماعي المبني على أسس الشورى في حال وقوعه في الخطأ فرضاً، فإن تبعــات القــرار تتحمله الجماعة ، مما يجعل في نفوس الناس الوازع والدافع في تخطي السلبيات التي نتجت عن ذلك القرار ؛ لأنهم عرفوا أن القرار لم يكن فردياً ، أو متسرعاً ، أو له ميل ، أو هوى ، وإنما هو رأي أهل الشورى .

- والشورى نيابة عن الأمة للمطالبة بحقوقها ، و وضع الأنظمة التي لا نــص فيهــا ، وبمــا يتناسب ومصالح الناس ، ومراعاة أحوالهم السياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، ومراقبة الحكام ، والمؤسسات التابعة لهم ، والاحتساب عليهم إذا أخطأوا ، وهذا أعظم مقصود مــن الشورى ( ) ، إذ أن في نظام الشورى تذكيراً للأمة بأنها هي صاحبة السلطان ، وتــذكيراً لرئيس الدولة بأنه وكيل عنها في مباشرة الحكم والسلطان ( ).
- إن الشورى هي ركيزة لكل دولة راقية تنشد لرعاياها الأمن والاستقرار والفلاح والنجــاح ، ولا تستغني عنها أي جماعة أو دولة ، فهي ضرورة لأي نظام سياســي ، إذ عــن طريــق الشورى يمكن الوصول لاستخراج أجود الآراء والحلول ؛ لتحقيق المصالح ودرء المفاسد فمهما بلغ الحاكم ، أو العالم ، أو المجتهد ، أو المفتي ، أو القاضي مــن رجاحــة العقــل ، وسداد الرأي ، وسعة الإطلاع ، وكثرة التجارب ، فإنهم أقل صواباً فيما لو استبدوا برأيهم ، ولم يستشيروا غيرهم ممن هو أهل للاستشارة ( ).
- ومن آثار الشورى أنها ترتقي بالتفكير السياسي الجماعي وتنمي مواهبه ؛ وذلك لأن الاستبداد السياسي وترك الشورى يورث البلادة ، ويلغي وظيفة العقل ويهدر كرامة الإنــسان ، إذ أن ترك الشورى يقتل كل إبداع يستطيع العقلاء تقديمه للأمة ، ويحجم الأفق السياسي ، ويــدخل البلاد في مغامرات لا تحمد عقباها ، فالشورى تبرز الكفاءات ، وتفجر الطاقات وتــستنهض الهمم ، وتظهر القدرات المختلفة في المجتمع ، ومن هنا يمكن الاستفادة من تلك الخبــرات ، ويوضع الرجل المناسب في مكانه اللائق به وبأمته.
- إن الشورى تمنح الدفيء العاطفي ، والتماسك الفكري والسياسي لأفراد الأمة ، وفيها إشــعار للفرد بقيمته الذاتية ، وقيمته الفكرية ، وقيمته الإنسانية ، وتدفع أفراد المجتمع نحو الاجتهــاد

( ) فقه الشورى : د . علي سعيد الغامدي ، ص .
( ) فقه النصر و التمكين : د. علي محمد الصلابي ، ص .
( ) فقه النصر والتمكين : د. علي محمد الصلابي ، ص .

والإبداع والرضى ، وتتفجر الطاقات ، وتتكشف المواهب المغمورة في الأمة ، فهي تساهم في علاج ضروب الكبت الضاغطة ، وكوامن الأحقاد الدفينة ، وتطيح بكثير من الكظوم الخفية ، وتدفع رعايا الدولة للعطاء والحرص على ترسيخ النظام ، وصدق الولاء ( ) حيث يشعر كل فرد بأن له دوراً في حياة المجتمع والجماعة ، والشورى تتيح الفرصة أمام كل فرد لكي يقدم ما يستطيع من جهود وأفكار وآراء ، ومهارات لخير المجتمع ، كما تتيح الفرصة أمام كل فرد ليعبر عن رأيه في الشؤون العامة ( ).

وبالجملة : فإن بقاء المجتمع قوياً متمسكاً بأهدافه السامية ، وقيمه العليا يتطلب تعزيز الدور السياسي الذي تضطلع به الأمة بمجموعها عن طريق ممارسة الشورى التي شرعها الله للمؤمنين ، فمن خلال الشورى يتأكد السلطان السياسي الحقيقي الذي يقوم بمهمة الإشراف الفعلي والعقلي على المجتمع برمته ، وفي المجتمع الإسلامي تتقبل الآراء وفقاً لجدارتها ، وبمقدار انسجامها مع عقيدة الأمة ودستور الدولة ، تلك الدولة التي من شأنها أن تمنح الأفراد قدرة على ابتكار الأفكار الجديدة ، والآراء الناضجة ، وإن الدولة التي تنفذ الأمور دون معرفة بالحقائق المتصلة بها ، واستيعاب الظروف والملابسات المحيطة بها ، ودون الالتفاف إلى رأي الأمة وسماع وجهة نظرها عن طريق ممثليها إنما تقوم بمغامرة غير مأمونة في نتائجها وغير سليمة في نهاياتها ، ولن تتوصل إلى حلول منطقية مبنية على أسس سليمة ، ومن هنا فإن الإلمام بالواقع يمثل أمراً شديد الأهمية في فن الحكم ، فكل قرار سياسي مهما بلغت كفاءة الرئيس الذي يصدره ومكانته السياسية العالية سوف يكون حتماً وبالتأكيد قراراً خاطئاً إن هو أخطأ في معرفة الواقع الذي يعالجه ، وهذه القاعدة لا تنطبق على القرارات السياسية وحدها ، بل تنطبق أيضاً على كل قرار أياً كان نوعه ، وفي أي مجال من مجالات الحياة البشرية سواء في السياسة ، أم في الإدارة أم في الحياة العامة أو الخاصة على حد سواء ، والقرآن الكريم يرشدنا إلى هذه الحقيقة في عدد من الآيات التي تؤكد على ضرورة التثبت ، والتبين والتأني ، والبعد عن الاستعجال ، ٹ ڈ ژ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڈ ڈ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ چ الحجرات: ٦ ( ) .

فهذه الآية تتضمن ضرورة الحرص على الإلمام بالحقيقة والواقع إلماماً دقيقاً قبل إصدار القرارات في أي مجال من مجالات الحياة ، فكل حاكم يريد لحكمه أن يستمر ولنظام دولته أن يستقر

( ) المصدر نفسه : ص .
( ) المصدر نفسه : ص .
( ) سورة الحجرات : آية : .

عليه أن يكون حريصاً على الإلمام بحقيقة الأوضاع ببلاده ، والشورى خير سبيل لتحقيق هذه الغايـــة ( ).

المطلب الثاني
مرتكزات ثقافة الرأي والرأي الآخر في ضوء النصوص الشرعية

ومن خلال التتبع والاستقراء في النصوص الشرعية يمكن استخلاص مرتكزات لثقافـــة الـــرأي والرأي الآخر ، والتي عند تحققها يمكن الوصول الى الهدف المنشود من تعددية الآراء ، والاســـتفادة منها على أكمل وجه ، ومن تلك المرتكزات :

- الالتزام بأدب الحوار

للحديث مع الغير في الإسلام أصول وآداب يطلب مراعاتها حتى يكون المسلم واقفاً عند حـــدود الله تعالى،عاملاً في مرضاته ، متجنباً مساخطه ، فما أكثر عثرات اللسان حين يتكلم،وما أكثر مزالقه الاجتماعية والسياسية ، و وقوعه في أخطاء في منتهى الخطورة على النفس وعلى المجتمع.

ويكفى لمعرفة خطر اللسان وما ينطق به ، والآثار المترتبة على ما ينطق به الإنسان ، ويصرح به ما رواه سهل بن سعد ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: ((من يضمن لي ما بين لحييه وما بـــين رجليـــه أضمن له الجنة)) ( ) ، والمراد بما بين لحييه : اللسان ، والمراد بما بين رجليه : الفرج.

وعن أبي هريرة ﷺ قال :سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب)) ( ) .

وقد حفظت لنا السنة النبوية العطرة آداباً وأخلاقيات عظيمة امتدت حتى إلى الأمور التعبديـــة ، فلـــم تغب عن الصحابة آداب الحوار والخلاف ، وتقبل رأي الآخر ، وأبرز مثال على ذلك اختلافهم فـــي تفسير قول النبي ﷺ : ((لا يصلينَّ أحد العصر إلا في بني قريظة))( ) ، فبعض الصحابة ﷺ فهـــم

( ) الشورى بين الأصالة و المعاصرة :الأستاذ عز الدين التميمي ، ص - .

( ) صحيح البخاري : / ،برقم ،كتاب الرقائق ، باب حفظ اللسان وقول النبي ﷺ مـــن كـــان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت وقوله تعالى ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد .

( ) صحيح البخاري : / ، برقم ، كتاب الرقائق ، باب حفظ اللسان .

( ) صحيح البخاري : / ، برقم ، كتاب أبواب صلاة الخوف باب صلاة الطالـــب والمطلـــوب راكبا وإيماء .

منه أن المراد الاستعجال ، فصلوا العصر لما دخل وقته ، وبعضهم أخذ بالظاهر ، فلم يصلِ إلا في بني قريظة ، ولم يُعَنِّف النبي ﷺ أحداً منهم ، ولم يحدث هذا التمايز في الآراء ، والاختلاف في التفسير إلى الانشقاق ، وفقدان أدب الحوار والخلاف ، بل إن الأجواء السائدة بينهم هي أجواء الاحترام والمحبة ، والتفهم لرأي الآخر .

(وحاصل ما وقع : أن بعض الصحابة حملوا النهي على حقيقته ، ولم يبالوا بخروج الوقت توجيهاً لهذا النهي الخاص على النهي العام، عن تأخير الصلاة عن وقتها) ( ).

وقد راعت السنة النبوية أدق الحالات النفسية والمزاجية عند التخاطب مع الآخرين ، فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال:((إذا كانوا ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث)) ( )، وعن ابن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال :((إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى رجلان دون الآخر حتى تختلطوا بالناس ، من أجل أن ذلك يحزنه)) ( ) ، حيث أصلت هذه الأحاديث أخلاقية إسلامية تعتبر من آداب الحوار ، إذ لا يحل لرجلين ومعهما ثالث ؛ لأن ذلك يحزنه ويؤذيه ، فقد يظن أنهما يتآمران عليه ، أو يظن أن إسرارهما الحديث عنه لسوء رأيهما فيه ( ) .

وقد وردت أحاديث عن رسول الله ﷺ تضبط الحوار والتشاور بين المخاطبين ،إذ يجب على القائمين على قادة الفكر والرأي مراعاة الآداب والأخلاقيات الإسلامية عند التحاور والتشاور ،ومن ذلك:

الابتعاد عن تأجيج المواقف السياسية والتصعيد فيها :

إذ يجب على أعضاء السلطة التنظيمية الحفاظ على حالة السلم الأهلي ، والعيش المشترك داخل المجتمعات الإسلامية ، حيث يبين النبي ﷺ خطورة الكلمة ومكانتها ، فعن أبي هريرة ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب))( ).

( ) المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة : د. عبد الكريم زيدان ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط / - م / .

( ) صحيح البخاري : / ، برقم ، كتاب الاستئذان ، باب لا يتناجى اثنان دون الثالث ، وقوله تعالى : ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلا تَتَنَاجَوْا بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ)) .

( ) صحيح البخاري : / ، برقم ، كتاب الاستئذان ، باب إذا كانوا أكثر من ثلاثة فلا بأس بالمسامرة والمناجاة .

( ) السلوك الاجتماعي في الإسلام : حسن أيوب ، ص .

( ) صحيح البخاري : / ، برقم ، كتاب الرقائق ، باب حفظ اللسان .

وينبغي لأعضاء السلطة التنظيمية ؛ ولتفادي تأجيج المواقف والدخول في سجالات وخلافات أن يردوا الرأي إلى منهاج الله تعالى ؛ ليقيسوا به ، ويحكموا على آرائهم بشرع الله ، فيميزوا الصواب من الخطأ ، ويستبينوا الصالح من الفاسد من آرائهم ( ) ، ﭤ ﭥ ﭦ ی ی ﯿ
ﭼ النساء: ٥٩ ( ) ، أي إلى كتاب الله وسنة الرسول ﷺ ، وإذا تقيد المرء في سلوكه وآدابه ، وقوله وعمله بالقرآن والسنة أصبح لا يصدر عنه إلا ما يوافق منهج الله تعالى ، ولا بد له من العلم بذلك والفقه فيه حتى يستطيع الرد إليه ، فهو متق لله تعالى في كل حركاته وسكناته ، وهذا ما يجعل عملية الشورى تنجح وتؤتي الكلمة ثمارها الطيبة حين الإدلاء بها موزونة بميزان الشرع ( ).

البعد عن المماراة والمهاترات الكلامية والجدل السياسي العقيم :-

فالإسلام يربي أتباعه على الترفع عن صغائر الأمور ، وانتقاء طيب الكلام ، حتى ولو كان المسلم مازحاً ، حيث كان النبي ﷺ يمازح أصحابه ولا يقول إلا حقاً ، فعن بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله: ((إني لأمزح ولا أقول إلا حقا))( ) ، والمماراة هي: عبارة عن جدال فيما لا طائل منه ، فإن الجدال الذي لا يراد منه الوصول إلى الحق ، ولا يكون على سبيل البحث عن شيء غير واضح ، وإنما يقصد منه الجدل ، أو يقصد منه تعجيز الغير وإفحامه عن غير سبب شرعي ، أو يقصد به التشهير والإزعاج يعتبر حراماً وممنوعاً شرعاً ، وهو علامة مرض المجادل وسوء طويته ، وخبث سريرته ، وضعف إيمانه ( ) ؛ ولذا قال النبي ﷺ : ((ما ظل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل))( ) وعن أبي إمامة الباهلي ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ ((أنا زعيم ببيت في ربض( ) الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقاً)) ( ) ، وقال مالك بن انس ﷺ : ليس هذا الجدال

( ) ينظر : فقه الشورى : د. علي سعيد الغامدي ، ص .

( ) سورة النساء : آية : .

( ) فقه الشورى : د. علي سعيد الغامدي ، ص .

( ) المعجم الأوسط : للطبراني : / ، برقم ، وقال العجلوني في كشف الخفاء : / (رواه الطبراني عن ابن عمر والخطيب عن أنس ﷺ) .

( ) السلوك الاجتماعي في الإسلام : أ. حسن أيوب ، دار الندوة الجديدة ، بيروت ، ط / هـ - م ، ص .

( ) سنن الترمذي : / ، برقم ، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ ، باب ومن سورة الزخرف ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح.

( ) أي : ما يحيط بها خارجاً عنها .

من الدين في شيء ، وقال أيضاً : المراء يقسي القلوب ويورث الضغائن ، وقال أبو الدرداء : كفى بك إثماً أن لا تزال ممارياً ، وقال عمر بن الخطاب ﷺ : لا تتعلم العلم لثلاث ، ولا تتركه لثلاث : لا تتعلمه لتماري به ، ولا لتباهي به ، ولا لترائي به ، ولا تتركه حياء من طلبه ، ولا زهادة فيه ، ولا رضا بالجهل عنه ( ).

قال الإمام الغزالي : وحدُّ المراء هو : كل اعتراض على كلام الغير بإظهار خلل فيه ، إما في اللفظ ، وإما في المعنى ، وإما في قصد المتكلم ، وترك المراء يكون بترك الإنكار والاعتراض ، فكل كلام سمعته إن كان حقاً فصدقه ، وإن كان باطلاً أو كذباً ولم يكن متعلقاً بأمور الدين ، فاسكت عنه ، وأما المجادلة فهي : عبارة عن قصد إفحام الغير وتعجيزه وتنقيصه بالقدح في كلامه ونسبته إلى القصور والجهل فيه ( ).

ويندرج تحت هذه الأخلاقية حسن الإنصات والاستماع بين أعضاء السلطة التنظيمية ، فإن هذا في حد ذاته أدب رفيع ، فمن خلاله يتم إيصال الفكرة التي يطمح المتحدث إلى إيصالها للمستمعين ، ففي حجة الوداع أمر النبي ﷺ جرير بن عبد الله ﷺ أن يستنصت الناس ، فعن جرير أن النبي ﷺ قال له :((في حجة الوداع استنصت الناس فقال : لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض)) ( ).

أن يكون الكلام والحوار يهدف إلى تحقيق مصلحة الأمة :

فمن شأن المسلم الفاهم الخائف من ربه أن لا يخوض فيما فيه ضرر على مصلحة الأمة ( ) وقد امتدت التوجيهات الإسلامية لتشمل أدق الحالات التي تتعلق بالأداء الفكري والعملي للإنسان ، وفي قمة ذلك عامل الوقت ، حيث ينبغي معرفة أهمية الوقت ، والحرص على عدم إضاعته في فضول الأقوال والأفعال ؛ وذلك لأن أعضاء السلطة التنظيمية ، قد ألقيت على عاتقهم أمانة عظمى وهي : رعاية شؤون الأمة من خلال المتابعة والتخطيط فيما يصب في مصالحها .

( ) سنن أبي داود : / ، برقم ، كتاب الأدب ، باب في حسن الخلق ، وقال الحافظ المنذري : رواه أبو داود ، والترمذي ، وابن ماجه ، والبيهقي، وقال الترمذي : حديث حسن .

( ) السلوك الاجتماعي في الإسلام : أ . حسن أيوب ، ص .

( ) السلوك الاجتماعي في الإسلام : للأستاذ حسن أيوب ، ص .

( ) صحيح البخاري : / ،برقم ،كتاب العلم ، باب الإنصات للعلماء .

( ) السلوك الاجتماعي في الإسلام :للأستاذ حسن أيوب ، ص .

ومن لوازم تحقيق مصلحة الأمة ، توسيع الخبرات ، والممارسة الجيدة ، فالناظر إلى النظام الإسلامي يجده ديناً عملياً ، يعيب على من يقول ولا يفعــل ، ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ الصف: ٢ - ٣ ( ).

ومن لوازم تحقيق المصلحة أيضاً عدم التستر على المفسدين ، وكشف الحقائق للرأي العــام، فعــن عبادة بن الوليد بن عبادة عن أبيه عن جده قال:((بايعنا رسول الله ﷺ على الطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وعلى أثرة علينا وعلى أن لا ننازع الأمر أهله وعلى أن نقول بالحق أينما كنــا لا نخاف في الله لومة لائم)) ( ).

وعن أبي ذر ﷺ قال : ((أوصاني خليلي رسول الله ﷺ ... أن لا أخاف في الله لومة لائم، وأوصاني أن أقول الحق وإن كان مراً ...)) ( ) .

فمن هذين الحديثين العظيمين نعلم أهمية الشجاعة المتزنة عند إبداء الرأي ، ولا يمنع أن يكون مــع الشجاعة الأدب وبخاصة مع العلماء والعقلاء ، أما السفهاء والفساق ، فلا بد من القــوة والــصرامة معهم ، وعدم التنازل عن شيء من دين الله تعالى مع الانضباط بآداب الشرع ، والبعد عــن البــذاءة والفحش في القول والظلم ، وقبول الحق ممن كان ، فهذا من العدل ، ولا شك أن الجبن مع معرفــة الحق والسكوت عليه يؤدي إلى ضياع الأمة ، وفقد الهيبة ، وتجرؤ أعــداء الله تعــالى أن يــصدعوا بباطلهم ، ولعل ما يحدث في بعض المجالس النيابية خير شاهد على هذا ، وقد روي عن عمر ﷺ أنه قال : ((اللهم إني أشكو إليك ضعف المؤمن ، وجلد الفاجر))( ) .

البعد عن التكلف في الكلام وفي المسائل التي تناقش :

يطلب من المسلم ألا يتكلف في كلامه بأن يحاول أن يكون فصيحاً وهو لا يحسن ذلك ، ولــيس عادة له ، كما يطلب منه ألا يبحث عن الأغلوطات ليجعلها مدار حديثه مع غيره ، فإن ذلك مما نهى الشرع عنه منعاً للمسلم من انتحال صفة ليست له ، ومنعاً له من التشدد على غيره والتضييق عليه ، فإن ذلك يتسبب في إحداث تشنج في الوضع السياسي ، وتأزيم المواقف السياسية وتصعيدها ، فعــن

( ) سورة الصف : الآيتان : - .

( ) صحيح مسلم : / ،برقم ،كتاب الإمارة ، باب وجوب الطاعة وتحريمها في المعصية .

( ) مسند الإمام أحمد : / ،وصحيح ابن حبان : / ،برقم ، ومسند البزار : / ،بــرقم ،وقال الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب : / :(رواه الطبراني وابن حبان في صحيحه واللفظ له).وقال الحفظ الهيثمي في مجمع الزوائد: / : (رواه أحمد والطبراني في الأوسط بنحوه وأحد إســنادي أحمد ثقات) .

( ) فقه الشورى : د. علي سعيد الغامدي ، ص .

جابر ﷺ قا : أن رسول الله ﷺ قال : ((إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً ،وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني يوم القيامة الثرثارون ، والمتشدقون ، والمتفيهقون ، قالوا : يا رسول الله قد علمنا الثرثارون ، والمشدقون ، فما المتفيهقون ، قال : المتكبرون)) ( ) ، والثرثارون : هم الذين يتكلفون كثرة الكلام ، والمتشدقون : هم المتطاولون على الناس بكلامهم ( ) والمتفيهقون: أصله من الفهق ، وهو الامتلاء ، وهم الذين يتكلمون بملء أفواههم ويتوسعون في الكلام ، ويغربون فيه تكبراً وارتفاعاً ، وإظهاراً لفضلهم على غيرهم ( ).

وقد نهى النبي ﷺ عن التنطع : فعن الأحنف بن قيس عن عبد الله بن عمرو قال :قال رسول الله ﷺ ((هلك المتنطعون قالها ثلاثاً)) ( ) .

والتنطع : التكلف والمبالغة والزيادة عن الحد . وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : ((نُهينا عن التكلُّف)) ( ) .وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: ((إن الله يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل( ) بلسانه كما تتخلل البقرة)) ( ).

ومعنى يبغض البليغ ( ) :أي المبالغ في فصاحة الكلام ، وبلاغته من الرجال :أي مما بينهم وخصوا لأنه الغالب فيهم الذي يتخلل بلسانه :أي يأكل بلسانه أو يدير لسانه حول أسنانه مبالغة في

( ) سنن الترمذي : / ، برقم ، كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في معالي الأخلاق ، وقال الهيثمي بعد أن أورده من طريق أبي ثعلبة الخشني : رواه أحمد والطبراني ، ورجال أحمد رجال الصحيح ، مجمع الزوائد : للحافظ الهيثمي ، / ، وكذا المنذري في الترغيب والترهيب ، / .

( ) سنن الترمذي : / .

( ) الترغيب والترهيب : للحافظ المنذري ، / .

( ) صحيح مسلم : / ،برقم ،كتاب العلم ،باب هلك المتنطعون .

( ) صحيح البخاري : / ،برقم كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب ما يكره من كثرة السؤال وتكلف ما لا يعنيه وقوله تعالى : لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم .

( ) أي : يديرونه في أفواههم بألسنتهم .

( ) سنن أبي داود : / ،برقم ، كتاب الأدب ، باب ما جاء في المتشدق في الكلام، وسنن الترمذي : / ،برقم كتاب الأدب عن رسول الله ﷺ باب ما جاء في الفصاحة والبيان.وقال أبو عيسى:هذا حديث حسن غريب .

( ) قال المناوي في فيض القدير : / (أي المظهر للتفصح فيها على الغير وتفاصحا واستعلاء و وسيلة إلى الاقتداء على تصغير عظيم أو تعظيم حقير أو بقصد تعجيز غيره أو تزيين الباطل في صورة الحق ، أو عكسه ، أو إجلال الحكام له و وجاهته وقبول شفاعته ، فلا ينافي كون الجمال في اللسان ، ولا أن المروءة في البيان ولا أنه زينة من زينة الدنيا وبهاء من بهائها ولا يناقض هذا ((خلق الإنسان علمه البيان

إظهار بلاغته وبيانه كما تتخلل البقرة :أي بلسانها كما في رواية ، والحاصل فهو الذي يتشدق في الكلام بلسانه ويلفه كما تلف البقرة الكلأ بلسانها لفاً وخص البقرة لأن جميع البهائم تأخذ النبات بأسنانها وهي تجمع بلسانها ( ) .

ومما تقدم يستدل على أن من أخلاقيات القائمين على السلطة التنظيمية إشراك الجميع بالحوار وعدم قصره على مجموعة معينة .

فإذا كانت الأحاديث النبوية قد نهت عن الحوار السري في أي من الأمور بين أثنين مع وجود ثالث، فإنه من باب الأولى اشتراك الجميع في القضايا التي تهم الأمة ، وعدم التستر والتغطية على بعض الأمور العامة كإبرام اتفاقيات سرية "من تحت الطاولة " ، وعدم تهميش أي طرف واحتقار رأيه ، بل أن الفلسفة السياسية الإسلامية تقوم على الإصغاء إلى جميع الآراء والاستماع لها ، وطرح الأمور السياسية كما هي على طاولة البحث والنقاش ، ويستدل أيضاً على أن الحوار السياسي ينبغي أن يكون منضبطاً بالآداب والأخلاقيات الإسلامية ، إذ يجب الابتعاد عن تأجيج المواقف ، والبعد عن المماراة ، والجدل السياسي العقيم ، والبعد عن التكلف في كل شيء من أجل تحقيق مصلحة الأمة .

المطلب الثالث

البعد الأخلاقي والسياسي في الالتزام بأدب الحوار عند التشاور وأثره في ثقافة الرأي والرأي الآخر

الفرع الأول

البعد الأخلاقي في الالتزام بأدب الحوار عند التشاور

الرحمن)) ؛ لأن جعله من نعم الوهاب آية أن موضع البغض ما كان على جهة الإعجاب والتعاظم ، فمن فهم تناقض الخبر والآية فقد وهم وإلى ذلك المعنى المراد يشير قوله الذي يتخلل بلسانه تخلل البقرة) .

( ) تحفة الأحوذي : / .

وأثره في ثقافة الرأي والرأي الآخر

عنى الإسلام عناية فائقة بمنزلة الكلمة وأثرها سواء كانت طيبة أم خبيثة ، ٹ ڈ چ
ی ی ی ی ٱ ب ب ٻ ٻ ٻپ پ پ پ ڀ ڀ
ڀ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڦ چ إبراهيم: ٢٤ - ٢٦ ( ) ، فالكلمة الطيبة ثابتة عميقة الجذور في تربة صالحة ومنبت طيب ؛ ولهذا فهي تنمو وترتفع حتى تبلغ السماء ، وهي كالنخلة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ، والكلمة الطيبة تثمر دائماً وأبداً الطيب .

أما الكلمة الخبيثة ، فهي مبتورة الصلة عن العقيدة والإيمان ، قلقة مضطربة لا قرار لها سرعان ما تسقط كتلك الشجرة الخبيثة المتزعزعة التي تجتثها الريح وتلقي بها ، وهي لا تثمر إلا الشر والفرقة والقطيعة، ٹ ڈ چ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ چ الحج: ٢٤ ( ) . وٹ ڈ ڑ ۀ ہ
ہ ہ ہ ہ ھ ھ چ ( ) وٹ ڈ چ چ چ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ
چ الإسراء: ٥٣ ( ) وفي نصيحة رسول الله ﷺ التي أسداها إلى معاذ بن جبل ﷺ كلمات جامعات ، ومما أوصاه به ودلّه على ملاك الأمر كله أنه أخذ بلسانه ، حيث يقول النبي ﷺ : ((ألا أخبرك بملاك ذلك كله ، فقلت له : بلى يا نبي الله ، فأخذ بلسانه ، فقال : كفّ عليك هذا ، فقلت : يا رسول الله وإنّا لمؤاخذون بما نتكلم به فقال : ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس على وجوههم في النار ؟ أو قال : على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم)) ( ) . وهذا يدل على مدى أهمية الكلمة عند عرض الرأي ؛ لأنها مرتبطة بالقلب والإيمان ، مرتبطة بالأمانة والمسؤولية ، مرتبطة بالنية والهدف ، مرتبطة بالعمل والجهد ، مرتبطة بالعقيدة كلها ، فتخرج نظيفة طاهرة بعيدة عن كل سوء وفحش ، فالإسلام يربي أتباعه على طيب الكلام وانتقائه حتى ولو كان المسلم مازحاً ، فكان ﷺ يمازح أصحابه

( ) سورة إبراهيم : الآيات : .
( ) سورة الحج : آية : .
( ) سورة الأحزاب : آية : .
( ) سورة الإسراء : آية : .
( ) مسند الإمام أحمد : / ،برقم ، وسنن الترمذي : / برقم كتاب الإيمان عن رسول الله ﷺ باب ما جاء في حرمة الصلاة .وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح .

ولا يقول إلا حقاً ، فالكلمة قد تكون رأياً أو نصيحة ، أو شورى أو علماً ،أو غير ذلك نثراً أو شعراً ،منها كلمة طيبة تؤثر أثراً حسناً ،ومنها كلمة خبيثة تؤثر تأثيراً سيئاً ( ) .

الفرع الثاني

البعد السياسي في الالتزام بأدب الحوار عند التشاور

وأثره في ثقافة الرأي والرأي الآخر

إن الالتزام بأدب الحوار عند التشاور يساهم في حل أعقد المشكلات السياسية ، ولاسيما عند انتخاب الخليفة أو الرئيس ، إذ بفضله تنتقل السلطة بسلاسة ويسر وسهولة ، وأبرز مثال على ذلك الحوار الذي جرى في سقيفة بني ساعدة الذي نتج عنه انتخاب الصديق أبي بكر ﷺ خليفة بعد رسول الله ﷺ ، حيث اتصف الحوار السياسي الذي دار بين من حضر في السقيفة بالأدب العالي ، وتمسك الحضور بأخلاقيات التشاور ، (إذ لم يكن لأصحاب رسول الله ﷺ أن يختلفوا على خلافة أبي بكر الصديق ﷺ ، وما اختلفوا عن ذلك ، لكن ما حدث هو نوع من المشاورة والدراسة ، إنه الشعور بالمسؤولية تجاه الرسالة وتجاه الأمة ، فوفاة الرسول ﷺ مصاب عظيم ، فلو أن رسول الله ﷺ عيّن أبا بكر كخليفة له في حياته ، وأمر بذلك لما تردد أحد ، ولما حاور أحد) ( ) ، لكنه ﷺ أشار إلى ذلك إشارات ترتفع إلى مستوى التعيين بالنص ، وليس بالحرف ، فما جرى في السقيفة هو نوع من الحوار السياسي ، فحينما وقف أبو بكر ﷺ خطيباً ، ثم قال لسعد بن عبادة ﷺ زعيم الأنصار : (يا سعد إن رسول الله ﷺ قال : وأنت قاعد : قريش ولاة هذا الأمر ، فبر الناس تبع لبرهم ، وفاجرهم تبعاً لفاجرهم ، فقال سعد : صدقت ، نحن الوزراء وأنتم الأمراء) ( ).

( ) فقه الشورى : علي سعيد الغامدي ، ص .

( ) خلافة أبي بكر في فكر ابن تيمية السياسي : د. أنور ماجد عشقي ، مكتبة التوبة ، السعودية ، ط / هـ - م ، / .

( ) مسند الإمام أحمد : / ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد / : (رواه أحمد وفي الصحيح طرف من أوله ، ورجاله ثقات إلا أن حميد بن عبد الرحمن لم يدرك أبا بكر) .

إن كلمة سعد بن عبادة ﷺ تحمل معنى من أعظم المعاني ، لم يكذب أبا بكر ، فقد تذكَّر ، ولم يكابر فهو مؤمن ، بل قال : صدقت ، إنها الشجاعة ، وإنه الرضـوخ للـنص ، وإنهـا الطاعـة لله ولرسوله ﷺ ، أبعد كل هذا يحلوا لجاهل أن يظن أن في القضية تنازعاً على الدنيا ؟ لقد كان الأمـر خشية على الدين وحرصاً على وحدة الأمة ( ).

عندئذ قال عمر ﷺ : ابسط يدك يا أبا بكر فلأبايعك ، فقال أبو بكر ﷺ : بل أنت يا عمر ، أقوى لها مني ، وكان عمر أشد الرجلين ، وكان كل واحد يريد الآخر لثقته بأنه خير منه لأحوال المسلمين ، وكان كل واحد منهما يريد صاحبه يفتح يده يضرب عليها ، ففتح يد أبي بكر ، وقال : لـك قـوتي إلى قوتك ، فبايع الناس ( ) ، لكن بشير بن سعد أبو النعمان بن بشير الأنصاري رضي الله عنهمـا قال : يا معشر الأنصار ، إنا والله لئن كنا أولى فضيلة في جهاد المشركين ، وسابقة في هذا الـدين ، ما أردنا به إلا رضا ربنا ، وطاعة نبينا ، والكدح لأنفسنا ، فما ينبغي لنا أن نستطيل على الناس بذلك ، ولا نبتغي به من الدنيا عرضاً ، فإن الله ولي المنة علينا بذلك ، ألا إن محمداً ﷺ من قريش وقومه أحق به وأولى ، وأيم الله لا يراني الله أنازعهم هذا الأمـر أبـداً ، فـاتقوا الله ولا تخـالفوهم ، ولا تنازعوهم ( ).

رأى أبو بكر ﷺ بعد ذلك أن الفرص سانحة لتوحيد الكلمة ، ورأى من الواجـب قفـل بـاب المناظرة، فقال : (هذا عمر ، وهذا أبو عبيدة ، فأيهما شئتم فبايعوا) ، فقالا : لا والله لا نتولى هذا الأمر عليك ، فإنك أفضل المهاجرين ، وثاني أثنين إذ هما في الغار، وخليفـة رسـول الله ﷺ علـى الصلاة ، والصلاة أفضل دين المسلمين ، فمن ذا ينبغي له أن يتقدمك ، أو يتولى هذا الأمر عليـك ؟ أبسط يدك نبايعك ، فتقدما ليبايعا أبا بكر ﷺ ، وكانت المفاجأة ، إذ تعجل بشير بن سعد ﷺ إلى البيعة ، فبايع أبا بكر ﷺ ، فكان أول من بايع على الخلافة في التأريخ ، فكانت سابقة محمودة ( ).

ولما رأت الأوس ما صنع بشير بن سعد ﷺ ، سارعوا إلى البيعة لحسم القـضية ، ولتوحيـد الكلمة ، وتدافع الأنصار كلهم إلى المبايعة ، وأقبلت أسلم بجماعتها تضايق بهم السكك في المدينـة ، فبايعوا أبا بكر ﷺ ، فكان عمر ﷺ يقول : (ما هو إلا أن رأيت أسـلم ، فأيقنـت بالنـصر)( ) ويقصد بذلك نصر الإسلام بتوحيد الكلمة ، كانت السقيفة وما حدث فيها مدرسة من مدارس الـسياسة

( ) خلافة أبي بكر في فكر ابن تيمية السياسي : د. أنور ماجد ، ص .

( ) تاريخ الطبري : / .

( ) خلافة أبي بكر في فكر ابن تيمية السياسي : د. أنور ماجد ، ص .

( )المصدر نفسه : ص .

( )المصدر نفسه : ص .

والفقه ، تميز فيه أبو بكر ﷺ بالقدرة على إدارة الحوار بكل هدوء ، وتميز فيها عمر بن الخطاب ﷺ بحسم الأمور وإقامة الحجة، أما أبو عبيدة ﷺ ، فكان كعادته يطلق الحِكَم التي تعني الكثير من المعاني ، فقال للأنصار كلمة أعادت اليقين إلى قلوبهم ، فتغلبت على بشريتهم ، قال : (يا معشر الأنصار إنكم أول من نصر وآزر ، فلا تكونوا أول من بدّل وغيّر) ( ) عندها خشي الأنصار من مغبة الجدل ، فانصاعوا إلى النص ، وأصبح طريق الحوار والتفاهم هو السائد في سقيفة بني ساعدة بين أبي بكر وصاحبيه ﷺ وبين الأنصار ، حيث كان الحوار في السقيفة ، قوامه الكلمة المنضبطة بالأخلاقيات الإسلامية ، كحد لتأصيل المفاهيم ، فالحوار بالكلمة في ميدان الفكر لا يقل عناءاً عن الحوار بالسيف في ميدان القتال ، لقد واجه أبو بكر وصاحباه عمر وأبو عبيدة ﷺ أصواتاً شجاعة ، تجأر بوجهة نظرها دون مواربة أو مداهنة ، ولو لم يكن لدى أبو بكر ﷺ قوة الحجة وعمق الإدراك ، لما تمكن من الصمود والإقناع ، وحسم الأمر وإنقاذ الأمة ، وكان الكل يعتقد أن ما يقوله هو الحق ، وهو الذي يصلح أحوال المسلمين ، وكان الأنصار على ثقة من أن قيادتهم للأمة الإسلامية هي من صميم اختصاصهم ، كأنصار احتضنوا الدعوة ورعوها حق رعايتها ، فما استكانوا وما ضعفوا ، فمن حقهم أن تكون لهم الرعاية إلى الأبد ، لكن أبا بكر ﷺ طرح أمامهم النص وكذلك فعل عمر ﷺ فتراجع الأنصار ؛ لأن قضاء الله وقضاء رسوله ﷺ لا يترك باباً للخيار الإنساني ( ).

إن المقاتلين الشجعان هم مادة الحوار في ميدان القتال لكن المفكرين هم مادة الحوار في ميدان الكلمة ، وإن الأمة الإسلامية اليوم لديها الكثير من المقاتلين الشجعان لكنها في حاجة إلى مفكر واحد له القدرة على تأصيل المفاهيم .

ومن خلال ما تقدم نتوصل إلى أن الالتزام بأدب الحوار عند التشاور يساهم في إيجاد أجواء مناسبة من التفاهم والانسجام ، حيث من خلاله يتم دراسة القضايا المطروحة على طاولة النقاش بأسلوب علمي ناضج ومتكامل لا تعتريه الثغرات ، وبالتالي يعود أثره على الصعيد السياسي ، فتصدر قرارات سياسية مدروسة يعود نفعها وفائدتها للجميع ، بخلاف القرارات التي تصدر وسط الضجيج والمهاترات الكلامية ، فإنها يغلب عليها التسرع ، وتحوم حولها الظنون والشكوك ، حول مدى صلاحيتها والجدوى منها .

إن التزام قادة الفكر والرأي بأدب الحوار عند التشاور يفضي إلى الانتقال الهادئ و السلس والسليم للسلطة في حال غياب رئيس الدولة بالموت ونحوه .

( )خلافة أبي بكر في فكر ابن تيمية السياسي : د. أنور ماجد ، ص .

( ) المصدر نفسه : ص .

ومن خلال التأمل في ما جرى من حوار سياسي في سقيفة بني ساعدة بعد وفاة رسول الله ﷺ فإننا نتلمس أدباً عالياً في الحوار والتشاور ، فمع عظمة المصيبة ، وهول الكارثة ، بفقد الأمة نبيها وقائدها، فوفاة الرسول ﷺ تعني توقف الوحي المتلو وغير المتلو ، وبروز دور الاجتهاد ، والاجتهاد يعني إعمال العقل في تطبيق النصوص على النوازل والمستجدات ، وتحصيل الحكم الشرعي لما لا نص فيه ، ولا يتأتى ذلك إلا بفهم عميق للمنهج الإسلامي ( ) ، ومع كل ما تقدم نجد هذا الالتزام الراقي بالخلق الإسلامي الرفيع ، مما كان له الأثر الكبير في استقرار الأمور واستتبابها .

إن النظام الإسلامي يسعى من خلال التحاور والتشاور إلى إيجاد جو من الانسجام والاحترام بين أعضاء السلطة التنظيمية ، مما يتسنى لهم التفكير بشكل متوازن معقول ومدروس بحاضر ومستقبل الأمة بعيداً عن التشنج في طرح الآراء والانفعال والتصعيد الذي يغير مسار المناقشات من أجوائها الموضوعية الهادئة إلى أجواء الصراعات الشخصية الصاخبة ، ولو على حساب المصلحة العليا للأمة .

وما نراه ونلاحظه في كثير من برلمانات والمجالس النيابية في النظم السياسية الوضعية هو انحدار في مستوى الأداء السياسي للنواب ، فالمهاترات الكلامية التي قد تصل إلى القدح والتجريح الشخصي بين الأعضاء ، والضجيج الإعلامي والكلامي يتنافى مع أدب الحوار وجو الاحترام والتفاهم والترفع عن الصغائر ، والانشغال بالأمور العظيمة ، وما يهم الناس في حياتهم اليومية الذي ينبغي أن يسود جلسات الأعضاء ، وقد يصل الأمر بهم في بعض الأحيان إلى السباب ، والتشهير ، والاشتباك بالأيدي ، وغير ذلك من الأمور التي لها انعكاسات خطيرة على الصعيد السياسي والاجتماعي .

ويلاحظ على النظم السياسية الوضعية استخدامها لأسلوب الابتزاز السياسي ، أو ما يطلق عليه بـ "وضع العصي في الدواليب " للوصول إلى الأهداف ، وتحقيق مكاسب سياسية ، كأسلوب من أساليب التفاوض .

وقد وصل الأمر عند بعض النواب في النظم السياسية الوضعية إلى ما وصفه الدكتور جان مينو في كتابه "مدخل إلى علم السياسة "بـ " الدور التخريبي "لعرقلة بعض القوانين التي لا تلبي مصالحهم ، حيث يقول : (... إن وضع العراقيل التي يقوم بها البعض من خلال وضع العصي في

( ) جهود الإمام ابن القيم الجوزية في علم السياسة الشرعية : د. عبد الله الحجيلي ، ص .

دواليب التقدم النيابي سببه الطابع التخريبي ، وربما كان في النهاية تفضيل خطر الانفجار على التطور الإصلاحي) ( ) .

لقد أدرك بعض المفكرين الغربيين خطورة تخلي السياسي أو البرلماني عن الأخلاقيات ، وتحوله إلى أداة تخريب من أجل فرض آرائه ، وأفكاره ، وأجنداته ، حيث يعبر أريك ويل عن ضرورة ارتباط الأخلاق بعمل السياسي بقوله : (إن مسألة معنى السياسة لا يمكن أن تطرح إلا بالنسبة لمن سبق له واستقر في ميدان الأخلاق) ( ) .

ومن أجل ذلك فقد ظهرت أسماء وعنوانات لمعاهد وأكاديميات تحمل في مضمونها الاهتمام المتصاعد حول ربط الأخلاق بالعمل السياسي ، مثل أكاديمية العلوم الأخلاقية والسياسية الفرنسية ( ) .

وبالجملة : وعند مقارنة أدب الحوار عند التشاور ، وما يتضمنه من احترام للآراء في الإسلام ، بالنظم السياسية الوضعية ، فإنه يتبين لنا أن الإسلام يربي أبناءه تربية تنمي شخصياتهم بطريقة تؤهلهم للقيام بواجبهم نحو بناء المجتمع الذي ينشده الإسلام ، فكل فرد في هذا المجتمع مسؤول عن ثغرة من ثغرات المجتمع الذي يعيش فيه ، ومن واجبه أن يؤدي هذا الدور بكل جدارة ، فإن قصَّر أو تخاذل فهو محاسب على ذلك بين يدي الله تعالى ( ).

إن الإسلام وهو يكوّن دولته لم يرد من أتباعه أن يكونوا صوراً متحركة يميلون حيث يشار إليهم بالميل ، ويوافقون حين يراد منهم الموافقة ، ويمتنعون حين لا يكون المسؤول موافقاً ، ولكنه يريد منهم أن يكون كل شخص منهم حارساً أميناً على نظام الدولة ، يرعاه من الطغاة ، ويحميه من الانتهازيين ، ويدفع عنه من يحاول تحويل مسيرته عن خطه المستقيم ( ).

المطلب الرابع

( ) مدخل إلى علم السياسة : د. جان مينو ، ترجمة : جورج يونس ، منشورات عويدات ، بيروت ، ط / م ، ص .

( ) المصدر نفسه : ص .

( ) مدخل إلى علم السياسة : د. جان مينو ، ص .

( ) القيادة والجندية في الإسلام : د. محمد السيد الوكيل ، ص .

( ) المصدر نفسه : ص .

علاقة الفقه السياسي الإسلامي بمفهوم الرأي والرأي الآخر في ضوء النصوص الشرعية والتراث السياسي الإسلامي

إن المنهج النبوي يسعى إلى تنمية العقل وإعماله في المواطن والأحكام التي ليس فيها نص فمن خلال التتبع والاستقراء في السنة النبوية نجد أن النبي ﷺ يستبشر وتبدو عليه علامات السرور عند اجتهاد أحد الصحابة في مسألة لا نص فيها بدليل أنه ﷺ لم يُعنف أحداً من الصحابة بسبب اجتهاده في الأمور التي لا نص جلي فيها ، وإن كانت في الجانب التعبدي التوقيفي ثم يأتي التوجيه النبوي الكريم فيصحح ويُقوِّم ومن أمثلته :

- حادثة تمرغ عمار بن ياسر ﷺ بالتراب لغرض التيمم وأداء الصلاة : فعن عمار بن ياسر ﷺ قال : ((بعثني رسول الله ﷺ في حاجة فأجنبت فلم أجد الماء فتمرغت في الصعيد كما تمرغ الدابة فذكرت ذلك للنبي ﷺ ، فقال : إنما كان يكفيك أن تصنع هكذا ، فضرب بكفه حصول على الأرض ، ثم نفضها ، ثم مسح بها ظهر كفه بشماله أو ظهر شماله بكفه ، ثم مسح بها وجهه))( ) .
- وكحادثة تيمم عمرو بن العاص ﷺ وإمامته للناس مع كونه مجنباً ؛ فقد عنون الإمام البخاري لأحد أبواب كتاب التيمم بقوله : ((باب إذا خاف الجنب على نفسه المرض أو الموت أو خاف العطش تيمم ، ويذكر أن عمرو بن العاص ﷺ أجنب في ليلة باردة ، فتيمم ، وتلا ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما فذكر للنبي ﷺ فلم يُعنف))( ) .
- وكحادثة انقسام جيش المسلمين إلى قسمين بسبب اجتهادهم في تفسير قول النبي ﷺ لا يصلينَّ أحد العصر إلا في بني قريظة ، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ : ((لنا لما رجع من الأحزاب لا يصلينَّ أحد العصر إلا في بني قريظة فأدرك بعضهم العصر في الطريق فقال بعضهم: لا نصلي حتى نأتيها وقال بعضهم :بل نصلي لم يرد منا ذلك فذكر للنبي ﷺ فلم يُعنف واحداً منهم))( )

( ) صحيح البخاري : / ،برقم ، كتاب التيمم ، باب التيمم حصول .

( ) صحيح البخاري : / ، كتاب التيمم ، باب إذا خاف الجنب على نفسه المرض أو الموت .....

( ) صحيح البخاري : / ، برقم ، كتاب أبواب صلاة الخوف ، باب صلاة الطالب والمطلوب راكبا وإيماء .

لذا فمن باب الأولى أن يُتاح لأهل الفكر والرأي إثراء الساحة الفكرية بكل مفاصلها ، من خلال تعدد الآراء والطروحات ، وتعميق ثقافة الرأي والرأي الآخر في كافة الميادين التي لم يرد فيه نــص .

وفي ضوء ما تقدم يمكننا القول : إن جميع المسائل المتجددة في الحياة ، التي لم يرد فيها نص ، سواء أكانت سياسية ، أو قانونية ، أو اقتصادية ، أو غيرها تعرض على مجلس الــشورى بقــصد الاجتهاد فيها ؛ لاستنباط الحكم الشرعي لها ، ومجلس الشورى وهو من ينظر في هذه القضايا ليــسن فيها قوانين معينة ، أي يستنبط لها أحكاماً مقيدة بالشريعة الإسلامية غايــة و وســيلة ، فــصلاحياته محددة بعدم مخالفة نص من نصوص الشريعة ، فينبغي أن تكون القوانين التي يسنها المجلس شرعية ، وهي تكون كذلك إذا جاءت مستمدة من الكتاب والسنة ، أو غير مخالفة لهما ( ).

إن الإسلام يفسح للعقل مساحات واسعة للتفكير والاجتهاد في أمور الحياة ، وحينئذ فهو يفــتح الأفق الواسع أمام الرأي والرأي الآخر ، وهذا لا يقتصر على المجال الفكري البحت بل يمتــد إلــى الجانب العملي التطبيقي ، لذا فإن بعض الناس ينظر إلى الإسلام نظرة مثالية لا تمت إلــى الحقيقــة بصلة ، فهو يتخيل إسلاماً يحلق بأصحابه في أجواء مجنحة ، ولا ينزل إلى أرض الواقع ، وهذا غير صحيح ، فالإسلام ــ مع مثاليته الرفيعة ــ يعالج الواقع كما هو بخيره وشــره ، وحلــوه ومــره ، ويجيز استعمال المكر والدهاء مع أهل المكر والدهاء ، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال النبي ﷺ : ((الحرب خدعة)) ( ) ، ويرى أن الضرورات تبيح المحظورات ، وأنه يجوز فــي وقت الضيق والاضطرار ما لا يجوز في وقت السعة والاختيار ، وأن الحاجــة قــد تنــزل منزلــة الضرورة ، وأن المشقة تجلب التيسير ، وأن لا ضرر ولا ضرار ، ولا عسر في الشرع ، ولا حرج في الدين ، ومن قواعده : ارتكاب أخف الضررين ، وأهون الشرين ، واحتمال الضرر الخاص لدفع الضرر العام ، وقبول الضرر الأدنى لدفع الضرر الأعلى ، وتفويت أدنى المــصلحتين ؛ لتحــصيل أعلاهما ، وكلها من النظرة الواقعية التي هي من خصائص الإسلام وشريعته ( ) .

إن بعض الناس يخطئ حين يتصور أن الدعوة لتعدد الآراء واحترامها هي مــدعاة للفرقــة والتشرذم، فإذا كانت الفرقة هي طريق الانحطاط ، فإن الوحدة هي سبيل الارتقاء وتبــوؤ المكانــة الفاضلة من جديد .

( ) الدولة القانونية والنظام السياسي الإسلامي : د. منير حميد البياتي ، ص .

( ) صحيح البخاري : / ، برقم ،كتاب الجهاد ، باب الحرب خدعة .

( ) الخصائص العامة للإسلام : د. يوسف القرضاوي ، مكتبة وهبة ، القاهرة ــ مصر ، ط / هــ م ، ص .

إن اتحاد الأمة الإسلامية على أسس ديننا العظيم أمل كل المسلمين الصادقين في كل مكان ؛ ذلك أن الإسلام هو الذي جعل من العرب المتناحرين أخوة في دين الله ، كما أن الإسلام بعقيدته الصحيحة ، وعبادته الصادقة ، وأخلاقه الرفيعة ، صهر الأمم والشعوب والحضارات التي دخلت فيه ، وجعل منهم أمة واحدة مترابطة ترابط الجسد الواحد لا فرق بين الفارسي ولا البربري ، ولا الرومي ولا العربي ، إلا بالتقوى ، وأصبحت الأمة أمة الإسلام واحدة في عقيدتها وتصوراتها ومنهجها ، وانعكس ذلك في توادهم وتراحمهم فيما بينهم ، وأصبحوا كالجسد الواحد ، الذي يخفق فيه قلب واحد ، وتسري فيه روح واحدة ، ويتأثر كل عضو فيه بما يصيب بقية الأعضاء ، أو هو كالجدار المتين الذي تجتمع لبناته لتشكل فيما بينها وحدة واحدة متماسكة متراصة ( ) .

إن المضامين الفكرية والأخلاقية في السنة النبوية توجب على السلطة التنظيمية السعي إلى المحافظة على وحدة المسلمين من خلال محاربة أسباب الفرقة .

فقد أكدت السنة النبوية الشريفة على أهمية الوحدة ، وفضلها ومنزلتها ، واتخذت كثيراً من الوسائل العملية لإنماء الروح الجماعية بين المسلمين ، وبينت دورها في الحفاظ على البناء السياسي والاجتماعي للأمة .

- فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : ((إن الله يرضى لكم ثلاثاً ، ويسخط لكم ثلاثاً : يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، وأن تناصحوا من ولاّه الله أمركم ، ويسخط لكم ثلاثاً : قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال)) ( ) .
- عن جابر بن سمرة ﷺ قال :((خطبنا عمر بن الخطاب ﷺ بالجابية قال : قام فينا رسول الله ﷺ اليوم فقال : أحسنوا إلى أصحابي ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يفشو الكذب حتى يشهد الرجل على اليمين لا يسألها فمن أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة فإن الشيطان مع الواحد ، وهو من الاثنين أبعد ، ولا يخلون أحدكم بالمرأة ، فإن الشيطان ثالثهما ومن سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن)) ( ) .

( ) فقه النصر والتمكين : د. علي محمد الصلابي ، ص .

( ) صحيح مسلم : / ،برقم ، كتاب الأقضية ، باب النهي عن كثرة المسائل حاجة والنهي عن منع وهات وهو الامتناع من أداء حق لزمه أو طلب ما لا يستحقه .

( ) السنن الكبرى :للنسائي : / ،برقم ، وصحيح ابن حبان : / ،برقم ذكر الإخبار عما يظهر في الناس من المسابقة في الشهادات والأيمان الكاذبة ، والمستدرك على الصحيحين :للحاكم : / ،برقم ، وقال:(هذا حديث صحيح على شرط الشيخين فإني لا أعلم خلافا بين أصحاب عبد الله

- وعن أبي هريرة ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((من خرج من الطاعة وفارق الجماعة ، فمات ، مات ميتة جاهلية ، ومن قاتل تحت راية عُمِّيّة ، يغضب لعصبية ، أو يدعو لعصبية ، أو ينصر عصبية ، فقتل ، فقتلته جاهلية ، ومن خرج على أمتي بسيفه يضرب برها وفاجرها ، ولا يتحاشى مؤمنها ، ولا يفي لذي عهد بعهده ، فليس مني ولست منه)) ( ).
- وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : ((من رأى من أميره شيئاً يكرهه ، فليصبر ، فإنه ليس أحد يفارق الجماعة شبراً ، فيموت ، إلا مات ميتة جاهلية)) ( ).
- وعن عرفجة ﷺ قال سمعت النبي ﷺ يقول : ((من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم ، أو يفرق جماعتكم ، فاقتلوه)) ( ).
- وتعميقاً لوحدة جماعة المؤمنين شبه الرسول ﷺ المؤمنين بالبنيان يشد بعضه بعضاً ، فعن أبي موسى الأشعري ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ((المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً ، وشبك بين أصابعه)) ( ) .

ففي هذه الأحاديث الشريفة دعوة إلى الوحدة الجماعية بين أبناء الأمة الإسلامية .

والقائمون على السلطة التنظيمية ينبغي عليهم أن يستحضروا دائماً فكرة وحدة جماعة المؤمنين ، وتماسك بنائهم ، فالرجل الواحد جسد ذو أعضاء مترابطة يجمعها عصب واحد ، ويديرها فكر واحد ، وتحركها عواطف واحدة ، وانفعالات واحدة ، ويغذيها دم واحد ، وتسير جميعاً إلى غاية واحدة ، فإذا نزل الألم بالبعض ، فقد نزل الألم بالكل على سبيل المشاركة ، وإذا تمتع البعض بلذة

بن المبارك في إقامة هذا الإسناد عنه ولم يخرجاه) ،وقال الشوكاني في نيل الأوطار : / :(رواه أحمد والترمذي وقال الترمذي بعد إخراج هذا الحديث : هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه ، وقد روي هذا الحديث من وجه عن عمر عن النبي ﷺ انتهى وأخرجه أيضا ابن حبان وصححه).

( ) صحيح مسلم : / ،برقم ،كتاب الإمارة ، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين ثم ظهور الفتن وفي كل حال وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة .

( ) صحيح البخاري : / ،برقم ،كتاب الفتن ،باب قول النبي ﷺ سترون بعدي أمورا تنكرونها وقال عبد الله بن زيد قال النبي ﷺ : اصبروا حتى تلقوني على الحوض .

( ) صحيح مسلم : / ،برقم كتاب الإمارة باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع .

( ) صحيح البخاري : / ،برقم ،كتاب المظالم ، باب نصر المظلوم .

من اللذات ، أشترك معه فيها الجميع ، بحكم الصلة الوثيقة التي تؤلف وحدة الأحاسيس والمشاعر ( ) .

واستحضار السلطة التنظيمية لفكرة الوحدة الإسلامية يكون من خلال الاعتصام بالكتاب والسنة ، وحصر التلقي لأحكام الدين أصوله وفروعه في هذا المصدر ، وأن يرد الخلاف إليهما عند التنازع ، وأن لا يعارضا بشيء من المعارضات ، ولا بمعقول ولا رأي ، ولا قياس ولا ذوق ، ولا وجد ولا مكاشفة ، ولا منام ولا غير ذلك ( ).

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : خطب رسول الله ﷺ في حجة الوداع ، فقال : ((يا أيها الناس ، إني تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً ، كتاب الله وسنتي)) ( ) .

فمن واجبات السلطة التنظيمية تحصين المسلمين من المناهج والنظريات والدعوات الأرضية ، التي تفنن أصحابها في تزويقها وتزيينها ، وكانت سبباً مهماً في تشتيت ولاء المسلمين ، وفقد كثير من أبناء المسلمين هويتهم ، ومسخ شخصيتهم بفعل التضليل المستمر الذي يمارسه شياطين الإنس والجن بمختلف الوسائل ، ومن أسباب جمع صفوف الأمة ، وتحقيق الوحدة بينها الدعوة إلى الالتزام بالإسلام عقيدة وشريعة ، ومنهج حياة ، والاعتزاز بالانتساب إلى هذا الدين ، ونبذ كل ما يخالفه ويضاده ( ).

إن طريق الوحدة والتعاون والتآخي ، والاجتماع على البر والتقوى يكمن بالاعتصام بالكتاب والسنة التي تدعو إلى الجماعة والوحدة ، وتذم الفرقة والتشتت .

إن تفريق جماعة المسلمين ، وكسر وحدتهم بالدعوات الجاهلية ظلم كبير ، وإثم عظيم ، وعودٌ بهذه الأمة إلى ما كانت عليه في جاهليتها ، متفرقة ممزقة بدعواتها الجاهلية التي ليس لها أساس فكري يدعمها ، وليس لها أساس نفسي إلا العصبيات والأنانيات ، كذلك كانت الأمة العربية ، فجاءها الإسلام ، فجمع كلمتها على الإيمان بالله ، و وحد صفها ، وألغى دعواتها الجاهلية ، وأعلن أنها منتنة ، وجعل من آمن من العرب نواة الوحدة الإنسانية الكبرى تحت راية الإسلام ، ثم أقام منهم الدولة القرآنية الربانية ، التي تشتمل على خير الإنسانية كلها ، غير عابئة بأية فوارق عرقية ، أو نسبية ، أو لونية ، أو إقليمية ، أو طبقية ، أما الفوارق المعتبرة عندها ، فهي الفضائل الذاتية والأعمال الصالحات ، وقد وجه القرآن الأمة العربية أن تذكر باستمرار ما كانت عليه في جاهليتها

( ) الأخلاق الإسلامية وأسسها : عبد الرحمن حسن حبنكة ، / .

( ) فقه النصر والتمكين : د. علي محمد الصلابي ، ص .

( ) صحيح مسلم : / ، برقم ، كتاب الحج ، باب حجة النبي ﷺ .

( ) فقه النصر والتمكين : د. علي محمد الصلابي ، ص .

قبل نعمة الإسلام ، فقال الله تعـالى: ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﭼ آل عمران: ١٠٣ ( )

ففي هذا النص يأمرنا الله تبارك وتعالى بأن نعتصم بحبله ، ونحن مجتمعون غير متفرقين ( ) .

ولقد عالجت السنة النبوية الشريفة الأسباب الرئيسة المؤدية للفرقة ، وعدم الوحدة ، وسأتناول منها ما له علاقة بمسألة تعدد الآراء ، ولاسيما السياسية منها فمن ذلك :

- **إتباع الهوى :** عرف أهل اللغة الهوى بأنه :(محبة الإنسان للشيء وغلبته على قلبه)( ) .

وأما في الاصطلاح فهو : (ميلان النفس إلى ما تستلذه من الشهوات من غير داعية الشرع) ( ) .

ويُعد إتباع الهوى من أهم الأسباب التي تدعو إلى الفرقة والانقسام ، وإن استحكام الهوى على العقل الإنساني سبب أساس في حالة التخبط ، والتعثر الذي يعتري العمل السياسي .

وقد وردت أحاديث عن رسول الله ﷺ تحذر من إتباع الهوى ، حيث يقول النبي ﷺ : ((إني أخاف على أمتي من ثلاث : من زلة عالم ، ومن هوى متبع ، ومن حكم جائر)) ( ) .وعن أبي برزة الأسلمي ﷺ عن النبي ﷺ قال:((إنما أخشى عليكم شهوات الغي في بطونكم وفروجكم ، ومضلات الهوى))( ) .

وكان ابن منبه يقول : (أعون الأخلاق على الدين الزهادة في الدنيا ، وأوشكها ردى إتباع الهوى ومن إتباع الهوى الرغبة في الدنيا ومن الرغبة في الدنيا حب المال والشرف ، ومن حب المال والشرف استحلال المحارم ومن استحلال المحارم يغضب الله وغضب الله الداء الذي لا دواء له إلا رضوان الله ورضوان الله دواء لا يضر معه داء ومن يريد أن يرضي ربه يسخط نفسه

( ) سورة آل عمران : آية : .

( ) الأخلاق الإسلامية وأسسها : عبد الرحمن حسن حبنكة ، / .

( ) لسان العرب : / .

( ) التعريفات : للإمام الجرجاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط/ بدون تاريخ ، ص

( ) مسند البزار : / ، برقم ، والمعجم الكبير للطبراني / ، برقم ، وقال الهيثمي : رواه البزار وفيه كثير بن عبد الله بن عوف ، وهو متروك ، وقد حسن له الترمذي ، مجمع الزوائد : للحافظ الهيثمي ، / ، باب ما يخاف على الأمة من زلة عالم وجدال منافق وغير ذلك .

( ) مسند الإمام أحمد : / ، وقال الهيثمي : رواه أحمد والبزار والطبراني ، ورجاله رجال الصحيح . مجمع الزوائد : للحافظ الهيثمي : / ، باب في البدع والأهواء .

ومن لا يسخط نفسه لا يرضي ربه ، إن كان كلما ثقل على الإنسان شيء من دينه تركه أوشك أن لا يبقى معه شيء)( ) .

ويقول الإمام الشعبي :(إنما سُمِّي الهوى هوى ؛ لأنه يهوي بصاحبه)( ) ، ويقول الإمام مسلم ابن يسار : (إياكم والمراء فإنها ساعة جهل العالم وبها يبتغي الشيطان زلته) ( ) .

- **التعصب للرأي والتشدد والانغلاق :** والتعصب لغةً : من العصبية ، وتَعَصَّبَ ، أي : شد العصابة ( ) ، وفي الاصطلاح : هو أن تجعل ما يصدر عن شخص ما من الرأي ، ويروى له من الاجتهاد حجة عليك وعلى سائر العباد ( ) .

إن التقليد الأعمى والتعصب يؤديان إلى الانحراف عن الطريق الصحيح ، الذي ينبغي على السلطة التنظيمية أن تسير عليه ، والتشدد والتعصب من أعظم أسباب التفرق والانحراف عن المنهج الرباني ، ومن أهم العوامل التي أدت إلى انتشار البدع والأهواء بين الناس ، ففشت في أوساطهم وحالت بينهم وبين سماع الحق والهدى ( ) .

وإذا كانت الأحاديث الواردة عن رسول الله ﷺ تنهى عن الغلو في الدين ، فمن باب الأولى عدم الغلو في أمر سياسة الدنيا ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : ((... إياكم والغلو في الدين ، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين)) ( ) ، وعن ابن مسعود ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ((هلك المتنطعون ، قالها ثلاثاً)) ( ) .

إن حالة الغلو والتشدد والانغلاق عند البعض ، أفرز حالة من التفكير الشاذ ، ومن ذلك فكرة استعداء الجميع ، وفتح جبهات واسعة ضد العالم الغربي من دون التمييز بين دولة وأخرى ، وبين أمة وأمة ،

( ) مصنف ابن أبي شيبة : لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي (ت هــ) ، تحقيق : كمال يوسف الحوت ، مكتبة الرشيد ، الرياض ، ط / هــ ، / .

( ) سنن الدارمي : / .

( ) سنن الدارمي : / .

( ) لسان العرب : / .

( ) أدب الطلب ومنتهى الأرب : لمحمد بن علي الشوكاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط / هــ ، ص .

( ) فقه النصر والتمكين : د. علي محمد الصلابي ، ص .

( ) سنن النسائي : / ، برقم ، كتاب مناسك الحج ، باب التقاط الحصى ، وصحيح ابن حبان : / ، برقم ، كتاب الحج ، باب رمي جمرة العقبة ، والسنن الكبرى للبيهقي : / ، برقم ، كتاب الحج ، باب أخذ الحصى لرمي جمرة العقبة ، وكيفية ذلك .

( ) صحيح مسلم : / ، برقم ، كتاب العلم ، باب هلك المتنطعون .

إننا لا ننكر بأن هناك حالة من العداء الغربي ضد العالم الإسلامي ، لكن المهم التمييز بين النظم الحاكمة التي تخطط وبين الشعوب المسالمة ، وضروري أن نفرق بين العلوم والمعارف التي هي ميراث حضاري وإنساني ، وبين الصراع الفكري والسياسي ، فإلى زمن قريب، والبعض يناقش في مشروعية البضائع والتقنيات والعلوم الأجنبية الوافدة من الغرب ، ووصل الأمر في بعض الواجهات الدينية أن زجت نفسها في ميادين لا ينبغي أن يتكلم فيها من تحجر عقله بسبب التعصب ، وضاق أفقه بسبب التشدد ، وقلّ علمه بسبب الانغلاق الفكري والعلمي ، ومن ذلك تحريم البعض الصعود إلى القمر ، فعندما وقعت حادثة الصعود إلى القمر في عام م في الولايات المتحدة الأمريكية ، حيث سبق ذلك سباق محموم بين الخبراء السوفيت والأمريكان على غزو الفضاء والصعود إلى القمر ، وكانت مركبة " غاغارين " هي الأولى في غزو الفضاء الخارجي ، وفي غمرة السباق نحو الفضاء بين دول الغرب صدرت فتوى من بعض الواجهات الإسلامية المحترمة مفادها تحريم ذلك ، وجعله أمراً مستحيلاً ، لا بل عدوه كفراً وتحدياً لله !!، ومن هنا استغل أعداء الإسلام هذا التعصب والانغلاق ،فبدؤوا يتهمون الإسلام بالتخلف، حيث يقول الدكتور فاروق الباز الذي كان مرافقاً للخبير الأمريكي الدكتور "جيمس أروين" وهو يلقي محاضرته عن مركبته الفضائية التي صعد بها إلى القمر: (لقد استغل الغربيون النصارى هذه الفتوى أشد الاستغلال ، فكانوا يوزعونها مطبوعة على آلاف الحاضرين من طلبة الجامعات، والعاملين في مراكز الأبحاث ، وجمهور المشاهدين ، وباللغتين العربية والإنجليزية ؛ ليبدوا للرأي العام الغربي ،وللجمهور المحتشد حول قاعدة إطلاق المركبة الفضائية أن المسلمين حمقى)( ) .

إننا بحاجة إلى عقليات متفتحة تقوم بتحييد من لم يبادر بالعدوان من ساحة المواجهة ،وتسعى إلى الاستفادة من التقدم التكنولوجي والعلمي الموجود في الحضارات الأخرى ، وإن الانغلاق والانطواء على الذات يفتح أبواب الدعاية المغرضة التي يروجها العلمانيون ، بزعمهم بأن الإسلام دين يُحَجِّر العقول ، ويُضيّق على الناس ، وينشر البغض والكراهية بين الأمم مما تسبب في تشويه الصورة المشرقة للإسلام ، حيث كانت المراكز الإسلامية في البلدان الأوربية تستقبل أعداداً من الأوربيين الذين هداهم الله للإسلام بشكل هزَّ مضاجع أعداء الإسلام ، ولكن تصرفات بعض المتشددين غيَّرت من هذا الواقع بسبب التعصب والانغلاق . إن الفضل في نشر الإسلام في بلدان العالم الغربي ، ولاسيما في البلدان الأوربية يعود إلى قادة الفكر الإسلامي الوسطي الذين كسروا حواجز العزلة التي صنعها التنطع والتعصب .

( ) الموقظة :عبد الكريم الآلوسي ، مطبعة الخلود ، العراق ، ط / م ، ص .

ويضاف إلى ما تقدم ، فإن التشدد والتعصب والانغلاق شكَّل حالة من الانقسام والانشقاق في الصف الإسلامي بسبب استنكار الناس له ،وكل تشدد في غير محله يقابله تراخ في غير محله ،كرد فعل له .

- تقديم العقل وتحكيمه على النصوص :

فمن أعظم الأخطاء التي يقع فيها القائمون على السلطة التنظيمية تقديمهم العقل مع وجود النص ، حيث يجر إلى ذلك الغرور وإقحام العقل في غير مجاله ، كما فعل أهل الأهواء الذين بسببهم سرى التشتت في الأمة ، فأصبحت فرقاً تتخبط في دياجير الظلام ، مبتعدةً عن كتاب ربها ، وسنة نبيها ﷺ .

وقد وردت أحاديث عن رسول الله ﷺ تحث على التمسك بالكتاب والسنة ، وتقديمهما على كل شيء ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : خطب رسول الله ﷺ في حجة الوداع ، فقال : ((يا أيها الناس إني تركت فيكم ما إن اعتصمتم به ، فلن تضلوا أبدا ، كتاب الله وسنتي)) ( ) . ولو تمسك الجميع بالكتاب والسنة ، وجعلوهما المصدر الوحيد للتلقي ، وأعرضوا عما خالفهما ، واتبعوا منهج سلف الأمة في فهم أحكام الدين ، أصوله وفروعه ، لما حصل الانقسام والفرقة ، ولكن ما وقعوا فيه كان نتيجة حتمية لتحكيم العقل في مجال غير المجال الذي خلق له .

ومما تجدر الإشارة إليه : هو أن أكبر تحدي يواجه الإسلاميين بكل أطيافهم ومشاربهم في الوقت الحاضر ، هو حالة الانقسام الموجودة في صفوفهم ، مما يعد خرقاً على المستوى الأخلاقي .

إن تعدد الآراء والاتجاهات الفكرية أمر طبيعي وفطري ولا غبار عليه ، لكن الشيء المستنكر المبالغة في حدة الانقسام ، وتحشيد الأتباع ؛ لنصرة الفكرة التي يُنظّر لها أهلها ، وتسفيه آراء المقابل ، والانتقاص منها، ورميها بالخطأ وربما بالضلال ، مما يفتح ثغرة للعلمانيين وادعاءاتهم بعدم صلاحية التيارات الإسلامية لتولي الشأن السياسي ، وإجهاض فكرة قيام نظام سياسي إسلامي يُحكِّم شريعة الله في الأرض ، بحجة أن الإسلاميين لم يستطيعوا أن يضبطوا أنفسهم ، ويُوحّدوا شارعهم ، ويتفاهموا فيما بينهم ، فكيف يستطيعوا أن يُوحّدوا بلداً متعدد الانتماءات والقوميات تحت راية واحدة ، ويتفاهموا مع الأمم الأخرى .

وينبغي لمعرفة الأثر السياسي لوحدة المسلمين ، أن نعرف ما هو موقف دوائر الفكر السياسي في العالم الغربي من الوحدة الإسلامية ، حيث أن أكثر ما يخيف أعداء الإسلام من الغربيين أن يرو المسلمين أقوياء موحدين ، وأن يرو للمسلمين دولة ، تجمع شتاتهم ، وتوحد قواهم ، وتنظم شؤون حياتهم .

( ) صحيح مسلم : / ، برقم ، كتاب الحج ، باب حجة النبي ﷺ .

وقد عبروا عن مخاوفهم على لسان مفكريهم وكتابهم ، فقال القس سيمون : (إن الوحدة الإسلامية تجمع آمال الشعوب الإسلامية ، وتساعد على التخلص من السيطرة الأوربية ، والتبشير عامل مهم في كسر شوكة هذه الحركة ، من اجل ذلك يجب أن نحول بالتبشير اتجاه المسلمين عن الوحدة الإسلامية ( ) .

وقال المبشر لورانس براون : (إذا اتحد المسلمون في إمبراطورية عربية أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطراً ، أما إذا بقوا متفرقين ، فإنهم يظلون حينئذ بلا وزن ولا تأثير ، يجب أن يبقى العرب والمسلمون متفرقين ، حتى يبقوا بلا قوة ولا تأثير ( ) .

وقال "آرنولد توينبي" : في كتابه "الإسلام والغرب" (إن الوحدة العربية نائمة ، ولكن يجب أن نضع في حسابنا أن النائم قد يستيقظ) ( ).

وفي عام م عقد مؤتمر أوربي كبير ، ضم القادة والزعماء برئاسة وزير خارجية بريطانيا آنذاك ؛ لبحث الوسائل التي تحول دون انهيار الحضارة الأوربية ، وبعد شهر من الدراسة والنقاش قرروا وضع خطة لبذل جهودهم كلها لمنع إيجاد أي اتحاد أو اتفاق بين دول الشرق الأوسط ؛ لأن الشرق الأوسط المسلم المتحد يشكل الخطر الوحيد على مستقبل أوربا ( ).

ومن أجل تقسيم الأمة الإسلامية وتفكيك وحدتها اتبع الغرب سياسة "فرق تسد " Divide" and Rule" وتقوم هذه السياسة في مضمونها السياسي على محاولة الإبقاء على الدول المتنافسة مع دولة في حالة من التفكك والانقسام ؛ لإضعاف قواها وإيجاد الثغرات التي يمكن النفاذ منها ضماناً ؛ لعدم حدوث اختلال قوة في غير صالح هذه الدولة ( ).

ومنذ الحرب العالمية الأولى شجعت بريطانيا قيام محاور سياسية وإقليمية متصارعة داخل الوطن العربي ، وذلك عن طريق تحريك بعض الحساسيات ، أو تغذية بعض المخاوف ، أو تشجيع بعض النزعات الإقليمية الضعيفة ، مثلما فعلت عندما أيدت مشروع الهلال الخصيب ، أو مشروع سوريا الكبرى ؛ وذلك لكي تظل هذه المنطقة منقسمة على نفسها مما يسهل عليها استغلالها بالكيفية التي تتلاءم وأهدافها البعيدة ، كما كان حلف بغداد الذي أقامته بريطانيا في عام م تطبيقاً مباشراً

( ) قادة الغرب : جلال العالم ، دار الأرقم ، عمان الأردن ، ط / هــ - م ، ص .
( ) المصدر نفسه : ص .
( ) المصدر نفسه : ص .
( ) قادة الغرب : جلال العالم ، ص .
( ) العلاقات السياسية الدولية : د. إسماعيل صبري مقلد ، ص .

لهذه السياسة ، فعن طريقه أمكنها أن تقسم العالم العربي إلى معسكرين متخاصمين ، أحدهما يؤيد هذه الأحلاف وينظم إليها ، والآخر يعارضها ويندد بها ويقود الحملة المناهضة لها ( ).

ولعظيم ما لوحدة المسلمين من آثار سياسية مهمة ، نجد البند الأول في الوثيقة التي تنظم العلاقات الداخلية والخارجية للمسلمين في دولتهم التي أنشأت بعد الهجرة ، ينص على مبدأ الوحدة الإسلامية : (المسلمون من قريش ويثرب ، ومن تبعهم فلحق بهم ، وجاهد معهم ، أمة واحدة من دون الناس) ( ).

إن جلائل الأعمال الكبرى لا تتحقق إلا عن طريق العمل الجماعي المنتظم المتعاون ، بخلاف العمل الفردي ، فإنه لا يثمر في الغالب إلا أعمالاً تتناسب مع مستوى طاقات الأفراد شدة وضعفاً ، والنزعة الانفرادية تنمو معها الرغبة القبيحة بتهديم أعمال الآخرين ، حرصاً على الانفراد بمجد التقدير بين الناس ، ومع هذه الرغبة القبيحة تتبدد الأعمال الفردية نفسها ، فتحرم الإنسانية بالانفرادية ثمرات الأعمال الجماعية( ).

إن الارتباط بالجماعة والتعاون معها يضاعف مقادير القوة ؛ لأن القوة المجتمعة تصمد أمام الأخرى المعادية ، بخلاف القوى الانفرادية المتناثرة ، فإن أية قوة معادية مجتمعة تستطيع الظفر بها والتغلب عليها ، إن القوة الانفرادية زائد القوة الانفرادية تساويان مجتمعتين أكثر منهما متفرقتين ، والسبب في ذلك أن القوى الانفرادية تتدخل فيها عوامل الوهن والتخاذل، فتبدد قسماً كبيراً منها ، أو تحجبه عن الظهور والاستعمال ، فتظهر قيمة القوة ذات نسبة ضعيفة ، بخلاف هذه القوة إذ كانت مجتمعه مع غيرها ، فإنها تقترن بعوامل الطمأنينة والأمل بالنجاح ، فتشحن عن آخرها ، وتضاف إليها قوى احتياطية لا تظهر إلا بتأثير عوامل قوية ، وحينئذ تظهر قيمة القوة نفسها ذات نسبة عالية .

إن وحدة الصف قوة للدولة مما يجعلها عصية على المؤامرات الداخلية والخارجية ؛ لأنه ليس بإمكان المتربصين التسلل إلى الداخل من أجل زعزعة الأمن والاستقرار والإطاحة بالنظام السياسي ؛ لقوة الجبهة الداخلية وتماسكها و وحدتها ، ويجعل فرص العدوان الخارجي ضئيلة ؛ لأن العدو حتماً سوف يأخذ بحسبانه القوة التي أنتجتها وحدة الصف الداخلي وتماسكه ، فيمتنع عن عدوانه .

( ) العلاقات السياسية الدولية : د. إسماعيل صبري مقلد ، ص .

( ) سنن البيهقي الكبرى : / ،كتاب الجراح ، باب العاقلة ، والسيرة النبوية :لإبن هشام : / .

( ) ينظر : العلاقات السياسية الدولية : د. إسماعيل صبري مقلد ، ص .

وليس هناك من دولة في العالم لا تطمح إلى الوحدة ( )؛ لأن الوحدة ــ وكما أسلفنا في الأثر السياسي ــ قوة ؛ ولهذا ظهرت في النظم السياسية الوضعية الشرقية والغربية فكرة التحالفات ، وظهرت أفكار أيدلوجية أممية يطمح أصحابها من أن تلتف حولها الدول والشعوب ، وتتوحد تحت تلك الفكرة ، وظهرت أيضاً النزعات القومية التي تقوم على أساس تغذية الانتماء والشعور القومي.

- **ففيما يتعلق بالتحالفات والمعاهدات :** تقوم التحالفات الدولية بالدور الأساس والأكبر في الإبقاء على علاقات توازن القوى ضمن الإطار الذي يسعى إلى القوة من خلال التحالف والوحدة ( ) .

والدول عندما تقرر الدخول في تحالفات دولية سواء كانت سياسية أو عسكرية أو اقتصادية ، فهي تفعل ذلك ليس عن مبدأ ، وإنما تحت ضغط المواقف والضرورات التي تدعوا إلى الوحدة ؛ لمواجهة الأخطار ، وهي عندما تقارن بين الالتزامات التي ستتقيد بها في هذه التحالفات الدولية وبين ما يمكن أن تدرؤه من مخاطر ، فإنها تفضل التحالف على الانفراد ؛ لأن التحالف قوة لها .

( ) وما ظهور الاتحاد الأوربي ، والاتحاد الأفريقي ، وغيرهما من أشكال الوحدة ، إلا علامة على إيمان تلك النظم بأهمية الوحدة سياسياً واقتصادياً واجتماعياً ، فحرصوا على تقوية القواسم المشتركة بين الشعوب ، وعلى إبراز المصالح التي يمكن أن تجتمع عليها وتتوحد حولها ، وفيما يأتي أمثلة لحالات السعي إلى الوحدة والاندماج في النظم السياسية الوضعية المعاصرة :

- فالصين على سعة مساحتها الجغرافية ، وكثرة عدد سكانها إذ يتجاوز عدد نفوس الصين "المليار نسمة" ورغم مكانتها الدولية وامتلاكها للقنبلة النووية ، فهي عضو في النادي النووي العالمي ، وعضو دائم في الأمم المتحدة ، إلا أنها تسعى بقوة لضم تايوان إليها ، وتعتبر استقلال تايوان عنها خطاً أحمر .

والدول الأوربية رغم قوتها الاقتصادية العلمية والبشرية شكلت الاتحاد الأوربي ، فأصبحت لهم عملة موحدة وسياسة خارجية ودفاعية واقتصادية موحدة ، وهي تسعى لتوسيعه وتقويته .

والولايات المتحدة الأمريكية بنت تحالفات إستراتيجية قوية ومتينة مع إسرائيل والهند ، وتربطها اتفاقيات اقتصادية متينة مع كندا .

وحتى الدول الأفريقية والتي كثيراً ما توصف بأنها من الدول الفقيرة أو النامية أو من دول العالم الثالث ، وربما وصفت "بالمتخلفة" ، فهي على تخلفها أدركت أهمية الوحدة ، فسعت إلى تشكيل الاتحاد الأفريقي على غرار الاتحاد الأوربي مع حفظ الفارق بين الاتحادين .

وفي القرن العشرين نشبت حروب مدمرة بين الدول ، ولعل في مقدمتها الحربين العالميتين الأولى والثانية ، وكان سببها الفكر التوسعي الذي يطمح إلى ما يمكن أن يوصف بالوحدة القسرية وبالقوة ، حيث تسعى الدول إلى ضم هذا البلد أو ذاك إلى رقعتها الجغرافية .

( ) العلاقات السياسية الدولية : د. إسماعيل صبري مقلد ، ص .

وفيما يأتي نظرة على أبرز التحالفات التي أبرمتها النظم السياسية الوضعية مع نبذة موجزة لها للتعرف على القيمة السياسية للتحالف الذي هو شكل من أشكال الوحدة ، ومدى اهتمام تلك النظم بالمشروع الوحدوي باعتباره مصدراً للقوة ، في حين تزداد الأمة العربية تفرقاً وتشتتاً وانقساماً : -

- ميثاق ريو The Rio Pact

ميثاق ريو أو معاهدة المساعدة المتبادلة بين الدول الأمريكية The Inter-American Treaty of Reciprocal Assistance ، هو أول مواثيق الأمن المتبادل التي ظهرت في نطاق الكتلة الغربية في عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية ، وكثير من تحالفات الأمن الغربي التي عقدت فيما بعد ، صيغت على غراره وتقيدت بنفس الإطار العام ، وقد وقع هذا الميثاق في ريودي جانيرو بالبرازيل في عام م في أثناء انعقاد مؤتمر الدول الأمريكية الخاص ببحث وسائل تدعيم السلام في القارة الأمريكية ، وقد اشتملت عضوية ميثاق ريو على كل من الولايات المتحدة ، وكوبا ، وهندوراس ، والمكسيك ، وجواتيمالا ، والسلفادور ، ونيكارجوا ، وهايتي ، وجمهورية الدومنيكان ، وكوستاريكا ، وبنما ، وفنزويلا ، والإكوادور ، وكولومبيا ، وبيرو ، وبوليفيا ، وبارجواي ، والبرازيل ، وشيلي ، والأرجنتين أورجواي ( )

- معاهدة حلف الشمال الأطلسي

The North Atlantic Treaty Organization (NATO)

جاءت المرحلة الثانية والهامة في سلسلة ترتيبات الأمن الجماعي في داخل العالم الغربي مع عقد معاهدة حلف شمال الأطلنطي (الناتو) ، وقد وقعت هذه المعاهدة في الرابع من أبريل عام م في واشنطون من كل من الولايات المتحدة ، وكندا ، وبلجيكا ، والدنمارك ، وفرنسا ، وأيسلندا ، وإيطاليا ولكسمبرج ، وهولندا ، والنرويج ، والبرتغال ، والمملكة المتحدة ، ثم انضمت إليها في عام م كل من تركيا واليونان ، وفي عام م أصبحت جمهورية ألمانيا الاتحادية (ألمانيا الغربية) عضواً عاملاً في الحلف بمقتضى اتفاقات باريس المعقودة في أكتوبر م وبعد التوقيع على معاهدة إتحاد غرب أوربا ، وفي الحقيقة أن معاهدة حلف الشمال الأطلنطي كانت بمثابة امتداد وتوسيع لإطار معاهدة بروكسيل التي وقعت في عام م بين كل من بلجيكا ، وفرنسا ،

( ) وللحصول على تفاصيل أكثر عن ميثاق ريو يراجع :

(1)Jack Plano & Robert Riggs , Foreign world Order : The politics of international Organization , (Macmillan , New York , 1967) pp. 295 – 298 . and: V.D. Mahjan , International politics Since 1900 , (S. Chand & Co. Delhi 1964) pp. 400-401 .

ولكسمبرج وهولندا وبريطانيا ، والتي تعهدت فيها هذه الدول بمساعدة بعضها إذا ما تعرضت إحداها للاعتداء العسكري ( ).

- معاهدة حلف جنوب شرقي آسيا أو" حلف مانيلا " :

South Asia Treaty Organization (SEATO)

أما عن حلف جنوب شرقي آسيا ، فقد بدأ التفكير في إنشائه منذ أن ظهرت الصين الشيوعية كقوة ضخمة في القارة الآسيوية ، وفي السياسة الدولية عموماً بعد عام م ، وكانت الدول التي تبنت الدعوة إلى إنشائه في البداية هي : الفلبين ، وتايلاند ، وكوريا الجنوبية ، وكان الدافع إلى ذلك هو تخوفها من أن تقع تحت السيطرة الشيوعية ، ثم جاءت الحرب الكورية (م)، وحرب فرنسا في الهند الصينية (التي انتهت في مايو م) لتدعم من هذه المخاوف ، ومن هنا تحركت الولايات المتحدة ؛ لإقامة تنظيم دفاعي جماعي جديد عن منطقة جنوب شرقي آسيا ، وتم ذلك بالتوقيع على حلف مانيلا أو معاهدة حلف جنوب شرقي آسيا في /سبتمبر م ، والدول التي وقعت على هذه المعاهدة هي: الولايات المتحدة ، وبريطانيا ، وفرنسا ، واستراليا ، ونيوزلندا والباكستان ، وتايلاند ، والفلبين ( ).

- حلف المعاهدة المركزية " السنتو " أو حلف بغداد سابقاً :

Central Treaty Organization

ترجع بداية التفكير في حلف بغداد إلى عام م ، حين تقدمت الدول الغربية ، بعد إلغاء معاهدة التحالف والدفاع المشترك المعقودة بينها وبين بريطانيا في عام م ، بمشروع يهدف إلى إقامة منظمة عسكرية جماعية للدفاع عن الشرق الأوسط ، ومن هنا تبلورت فكرة الحزام الشمالي التي تقدمت بها حكومة إيزنهاور الجمهورية في عام م ، والتي تضمنت الدعوة إلى تأسيس حلف جديد في المنطقة تكون نواته الدول الشمالية المتاخمة للاتحاد السوفيتي ، وبالأخص تركيا وباكستان وإيران والعراق ــ وقد استبعدت أفغانستان من هذا المشروع ــ ، ثم

( ) العلاقات السياسية الدولية : د. إسماعيل صبري مقلد ، ص ، وينظر :

(2)John , Spanier , American foreign Policy Since World war II , (Praeger , New York , 1960) , pp. 45-52.and look : William G. Carleton , The Revolution in American Foreign policy: Its Global Range , (Random House , New York , 1963) pp. 177-189 .

( ) السياسة الأمريكية وأمن آسيا : فريد غرين ، نيوورك ، ص - .

(1)Fred Greene U.S. Policy and the Security Of Asia , (MacGraw Hill , New York , 1988), pp. 102-103 .

تفتح عضويته فيما بعد لدول الشرق الأوسط الأخرى ، وكإجراء تنفيذي مبدئي عقدت تركيا والباكستان ميثاقاً دفاعياً ثنائياً بينهما في أغسطس م ، وأعقبت ذلك التوقيع على الميثاق التركي العراقي في فبراير ، وقد تركت المادة الخامسة من هذه المعاهدة التركية العراقية الباب مفتوحاً أمام الدول الأخرى التي ترغب في الانضمام إليها ، والتي يعنيها الدفاع عن السلم والأمن في الشرق الأوسط ، وتلى عقد هذا الميثاق انضمام بريطانيا إليه في أبريل عام م ، ثم باكستان في يوليو م ، ثم إيران في نوفمبر م ، وأصبح هذا التحالف معروفاً بحلف بغداد ( ).

- **حلف وارسو** : Warso Collation

حلف وارسو : هو المنظمة العسكرية التي تقابل حلف الأطلنطي في الكتلة الغربية ، وقد ظهر هذا الحلف إلى حيز الواقع في /مايو م ، أثر انضمام ألمانيا الغربية إلى حلف الأطلنطي ، وهو الإجراء الذي أثار مخاوف الاتحاد السوفيتي بشدة نظراً لما كان يعنيه من تغيير في علاقات توازن القوى في أوربا ، وما كان ينطوي عليه ذلك بالتالي من تهديد مباشر لأمنه القومي في أوربا ، ومن ثم فقد وجد الاتحاد السوفيتي نفسه مضطراً إلى إعادة تقويم إستراتيجيته الأوربية الدفاعية ، وخلص من ذلك إلى الاقتناع بضرورة استبدال مجموعة مواثيق دفاعه الثنائية مع دول أوربا الشرقية ، بحلف عسكري جماعي ( ).

- **أما ما يتعلق بالتكتلات الأيدلوجية :** حيث تعتبر الأيدلوجيات والمعتقدات المذهبية للدول من بين القوى الرئيسة التي تؤثر في أوضاع المجتمع السياسي الدولي وعلاقاته ، وهناك عدد من العوامل التي أدت إلى نمو نفوذ الأيدلوجية في العلاقات الدولية ، والتي لا يتسع المقام لذكرها ، وسوف أقتصر على ذكر نماذج من العقائد المذهبية السياسية التي ظهرت في القرن العشرين ، ومن ذلك : النازية في ألمانيا ، والفاشية في إيطاليا ، والشيوعية في روسيا والصين ، ودول شرق أوربا ، وأيدلوجية عدم الانحياز وتتركز في القارتين الأفريقية والآسيوية ( ) ، ولا يخفى ما في هذه الأيدلوجيات من سعي محموم من أجل الوحدة التي لا تخفى فوائدها .

( ) التحالفات والسياسة الخارجية الأمريكية : روبرت أوسغود ، بلاتيمور ، الولايات المتحدة الأمريكية، ، ص .

(2)Robert Osgood , Alliances and American Foreign Policy , (The Jhons Hopkins Press , Baltimore , 1968) , p. 50 .

( ) العلاقات السياسية الدولية : د. إسماعيل صبري مقلد ، ص .

( ) Kurt London , The Permanent Crisis : Communism in World Politics , (Blasdell Publishing Company , Waltham , Mass , 1968) , p.2 .

إن القومية لا تستطيع وحدها أن تقدم تفسيراً شاملاً لكل ظواهر الواقع السياسي الدولي بعكس الأيدلوجيات التي يمكنها كلٌ من منظورها الخاص أن تفسر هذا الواقع الدولي وتعطيه مدلولاً متميزاً ( ).

أما ما يتعلق بفكرة التكتلات القومية : والقومية : تعني بمفهومها العام ميلاً أو شعوراً بالانتماء إلى جماعة حضارية معينة ، ورغبة في التجمع والترابط ؛ لتحقيق غايات وأهداف مشتركة في ظل إحساس عام بوحدة المصير ( ).

و يميل معظم أساتذة العلاقات الدولية إلى اعتبار القومية بمثابة القوة المحركة الأولى في المجتمع الدولي، كما يعتبرونها من أهم الدوافع التي تتحكم في تشكيل سياسة الدولة الخارجية ، وتحديد مصالحها القومية، وفي اعتقادهم أن تفهم موضوع القومية شرط ضروري وأساسي ؛ لتفهم ظاهرة السلوك الدولي عموماً ؛ ولهذا الاعتقاد في الحقيقة ما يبرره ؛ ذلك أن الخصائص الذاتية المتميزة لكل دولة ، سواء كانت هذه الخصائص بشرية أم جغرافية أم حضارية أم إقليمية ، وغير ذلك ، هي التي تؤثر في تحديد مصالح الدولة ، وأهداف سياستها الخارجية ، وبالتالي ترسم أبعاد دورها في المجتمع الدولي ( ) .

ومن أجل ترسيخ مبدأ الوحدة على أساس قومي اضطر منظرو هذا الفكر إلى إيجاد قواسم مشتركة لفكرتهم ، وتفعيل عناصر الوحدة القومية ، ومن أهمها : وحدة الأصول العنصرية ، والروابط الإقليمية والجغرافية ، واللغة القومية ، والتأريخ المشترك ( ) .

( ) العلاقات السياسية الدولية : د. إسماعيل صبري مقلد ، ص .

( ) المصدر نفسه : ص .

( )السياسة العالمية : أي أف كي ارغانسكي ، وألفريد أي ، نيوورك ، ، ص .

(4) A.F.K. Organski , World politics , (Alfred A. knopf , New York , 1958). P. 33 .

( ) ينظر جميع ذلك في : العلاقات السياسية الدولية : د. إسماعيل صربي مقلد ، ص - .

الخاتمة

وفي الختام نقول كلمة مستقاة من صميم الواقع ، وهو إن أكبر تحدي يواجه الإسلاميين بكل أطيافهم ومشاربهم في الوقت الحاضر ، هو حالة الانقسام الموجودة في صفوفهم ، بسبب عدم تفهمهم وتقبلهم لثقافة الرأي والرأي الآخر ، وتغييب منطق لنجتمع فيما اتفقنا عليه، وليعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه ، حيث سبب التناحر والانقسام حالة من الانغلاق وكبت الطاقات وصد الكفاءات عن الإبداع بسبب انشغال العقول بمعارك جانبية لا تسمن ولا تغني من جوع . إن تعدد الآراء والاتجاهات الفكرية أمر طبيعي وفطري ولا غبار عليه ، لكن الشيء المستنكر المبالغة في حدة الانقسام ، وتحشيد الأتباع ؛ لنصرة الفكرة التي يُنظّر لها أهلها ، وتسفيه آراء المقابل ، والانتقاص منها، ورميها بالخطأ وربما بالضلال، مما يفتح ثغرة لأعداء الإسلام - من أمثال ذلك القس الأمريكي المعتوه الذي همّ بحرق القرآن الكريم وغيره من المغرضين - وادعاءاتهم بعدم صلاحية

التيارات الإسلامية لتولي الشأن السياسي ، وإجهاض فكرة قيام نظام سياسي إسلامي يُحكِّم شريعة الله في الأرض ، بحجة أن الإسلاميين لم يستطيعوا أن يضبطوا أنفسهم ، ويُوحّدوا شارعهم ، ويتفاهموا فيما بينهم ، فكيف يستطيعوا أن يُوحّدوا بلداً متعدد الانتماءات والقوميات والمذاهب والمشارب تحت راية واحدة ، ويتفاهموا مع الأمم الأخرى .

إن إشاعة أجواء التفاهم من خلال الرأي و الرأي الآخر يساهم في قوة الترابط الجماعي والتعاون مما يضاعف من مقادير القوة ؛ لأن القوة المجتمعة تصمد أمام الأخرى المعادية ، بخلاف القوى الانفرادية المتناثرة ، فإن أية قوة معادية مجتمعة تستطيع الظفر بها والتغلب عليها ، إن القوة الانفرادية زائد القوة الانفرادية تساويان مجتمعتين أكثر منهما متفرقتين ، والسبب في ذلك أن القوى الانفرادية تتدخل فيها عوامل الوهن والتخاذل، فتبدد قسماً كبيراً منها ، أو تحجبه عن الظهور والاستعمال ، فتظهر قيمة القوة ذات نسبة ضعيفة ، بخلاف هذه القوة إذ كانت مجتمعه مع غيرها ، فإنها تقترن بعوامل الطمأنينة والأمل بالنجاح ، فتشحن عن آخرها ، وتضاف إليها قوى احتياطية لا تظهر إلا بتأثير عوامل قوية ، وحينئذ تظهر قيمة القوة نفسها ذات نسبة عالية.

إن تعدد الآراء وفتح أجواء حرية التعبير أمام وجهات النظر الأخرى يساهم أيضا في وحدة الصف فهو قوة للدولة مما يجعلها عصية على المؤامرات الداخلية والخارجية ؛ لأنه ليس بإمكان المتربصين التسلل إلى الداخل من أجل زعزعة الأمن والاستقرار والإطاحة بالنظام السياسي ؛ لقوة الجبهة الداخلية وتماسكها و وحدتها ، ويجعل فرص العدوان الخارجي ضئيلة ؛ لأن العدو حتماً سوف يأخذ بحسبانه القوة التي أنتجتها وحدة الصف الداخلي وتماسكه ، فيمتنع عن عدوانه .

وأخيرا نقول إذا كان الله تعالى وهو خالق الكون كله قد قال لموسى وهارون بشأن فرعون ((فقولا له قولا لينا)) رغم ادعائه الإلوهية ، وعصيانه لربه ، واضطهاده لبني إسرائيل ، فمن باب الأولى أن نكون ليّنين فيما بيننا ، فالذي يتصور نفسه على صواب ليس بأفضل من موسى وهارون والمخالف ليس بأخبث من فرعون ، وقد أمرهما الله تعالى باللين معه .... وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

المصادر والمراجع العلمية

- أحكام القرآن : للقاضي أبي بكر محمد بن عبد الله بن محمد المعروف بابن العربي الأندلسي المالكي (ت هــ)، مطبعة دار السعادة ، القاهرة ، ط / هــ .
- الأخلاق الإسلامية و أسسها : عبد الرحمن حسن حبنكة ، دار القلم ، دمشق ، ط / هــ م .
- أدب الطلب ومنتهى الأرب : لمحمد بن علي الشوكاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط / هــ .

- الإسلام عقيدة وشريعة : للشيخ محمد شلتوت ، دار الشروق ، القاهرة ، ط / م .
- الإسلام وأوضاعنا السياسية : للأستاذ عبد القادر عودة ، مطبعة المختار الإسلامية ، القاهرة ، ط / هــ .
- تاريخ الطبري : لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري ،(ت هــ)دار الكتب العلميــة ، بيروت ، ط / هــ .
- تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد :للشيخ محمد أبو زهرة ، دار الفكر العربي ، القــاهرة ،ط/ بدون تاريخ .
- الترغيب و الترهيب : لأبي محمد عبد العظيم بن عبد القوي المنذري (ت هــ) ، تحقيق : إبراهيم شــمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط / هــ .
- الجامع لأحكام القرآن : لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر ببن فرج القرطبــي (ت هــــ) تحقيــق : أحمد عبد الحليم البردوني ، دار الشعب ، القاهرة ، ط / هــ .
- جهود الإمام ابن قيم الجوزية الاجتهادية في علم السياسة الشرعية : د. عبد الله محمد سعد الحجيلــي ، مطبعــة الجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة ، ط / هــــ .
- حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة : الشيخ محمد الغزالي ، دار التوفيق النموذجية ، مصر ، ط / هــــ - م .
- الخصائص العامة للإسلام : د. يوسف القرضاوي ، مكتبة وهبة ، القاهرة ــ مصر ، ط / هــ - م .
- خلافة أبي بكر في فكر ابن تيمية السياسي : د. أنور ماجد عشقي،مكتبة التوبة ، السعودية، ط / هــ - م .
- الخلافة والملك : للأستاذ أبي الأعلى المودودي ، ترجمة : أحمد إدريس ، دار القلم ، بيروت ، ط / هـــ - م .
- الدولة القانونية والنظام السياسي الإسلامي : د. منير حميد البياتي ، الدرا العربية للطباعــة والنــشر ، بغــداد ، ط / هــ - م .
- السلوك الاجتماعي في الإسلام : أ. حسن أيوب ، دار الندوة الجديدة ، بيروت ــ لبنــان ، ط / هــ ــ م .
- سنن أبي داود : سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (ت هــ) ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميــد ، دار الفكر ، بيروت ، ط/بدون تاريخ .
- سنن الترمذي : لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي السلمي ، (ت هــ)، تحقيق : أحمد محمــد شــاكر وآخرون ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، بدون تاريخ .
- سنن الدارمي : لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي (ت هــ) ، تحقيــق : فــواز أحمــد زمرلي وخالد العلمي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط / هــ .
- السنن الكبرى : للإمام الحافظ أبي بكر احمد بن الحسين البيهقي ، دار الفكر ، بيروت ، بدون تاريخ .

- السنن الكبرى :لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي ، (ت هـ) تحقيق : د. عبد الغفار سليمان البنداري ،دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط / هــ - م.
- السياسة الشرعية : للأستاذ عبد الوهاب خلاف ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط / هــ.
- السيرة النبوية :لأبي محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعروف بابن هشام ، (ت هــ)،تحقيق :طه عبد الرؤوف سعد ، دار الجيل ، بيروت ، ط / هــ .
- صحيح ابن حبان : لأبي حاتم محمد بن حبان أحمد البستي ، (ت هــ) ، تحقيق : الشيخ شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ط / هــ - م .
- صحيح البخاري : لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، (ت هــ) ، تحقيق : مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير ، بيروت ، ط / هــ - م .
- صحيح مسلم :لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، (ت هــ) ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، ط/ بدون تاريخ .
- الطبقات الكبرى :لأبي عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي ، (ت هــ) ، تحقيق : زياد محمد منصور ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، ط / هــ .
- العقد الفريد للملك السعيد : لأبي سالم محمد بن طلحة الوزير (ت هــ) ، مطبعة الوطن ، القاهرة ، ط / هــ .
- العقيدة والسياسة معالم نظرية عامة للدولة الإسلامية : لؤي صافي،دار الفكر المعاصر ،بيروت ، ط / هــ ، م.
- العلاقات السياسية الدولية دراسة في الأصول والنظريات : د. إسماعيل صبري مقلد ، منشورات دار السلاسل ، الكويت ، ط / هــ - م .
- فتح الباري :لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي ، (ت هــ) ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب ، دار المعرفة ، بيروت ، ط/ هــ .
- الفرد والدولة في الشريعة الإسلامية : أ.د. عبد الكريم زيدان ، مطبعة سلمان ألأعظمي ، بغداد العراق ، ط / م .
- فقه الشورى : دراسة تأصيلية نقدية : د. علي سعيد الغامدي ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، المملكة العربية السعودية ، ط / هــ ، م .
- فقه النصر والتمكين : د.علي الصلابي ، دار المعرفة ، بيروت ، ط / هــ - م .
- فيض القدير شرح الجامع الصغير : للشيخ عبد الرؤوف المناوي ، دار المعرفة ، بيروت لبنان ، ط / هــ - م .
- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس : لإسماعيل العجلوني الجراحي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط / هــ .
- لسان العرب : لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري : دار صادر ، بيروت ، ط /بدون تاريخ .

- مجمع الزوائد : لعلي بن أبي بكر الهيثمي ، (ت هـ) دار الريان للتراث ، القاهرة ، ط / هـ .
- مجموعة الرسائل : للأستاذ الشهيد حسن البنا ، دار الدعوة ، الإسكندرية مصر ، ط / هـ - م .
- مدخل إلى علم السياسة : د. جان مينو ، ترجمة : جورج يونس ، منشورات عويدات ، بيروت ، ط / م .
- المستدرك على الصحيحين : لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري ،(ت هـ)، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط / هـ - م .
- مسند الإمام احمد : لأبي عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني ، (ت هـ) ، مؤسسة قرطبة ، مصر ، ط/بدون تاريخ .
- مسند البزار : لأبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار ، تحقيق :محفوظ الرحمن زين الله (ت هـ) ، مؤسسة علوم القرآن ، بيروت ،ط / هـ .
- مصباح الزجاجة : لأحمد بن أبي بكر بن إسماعيل الكناني (ت هـ) ، تحقيق : محمد المنتقى الكشناوي ، دار العربية ، بيروت ، ط / هـ .
- مصنف ابن أبي شيبة : لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي (ت هـ) ، تحقيق : كمال يوسف الحوت ، مكتبة الرشيد ، الرياض ، ط / هـ .
- مصنف عبد الرزاق : لأبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت هـ) ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط / هـ .
- المعجم الأوسط : لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت هـ) تحقيق : طارق بن عوض الله بن محمد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسني ، دار الحرمين ، القاهرة ، ط/ هـ.
- المغازي : للإمام الواقدي (ت هـ) ، تحقيق : مارسدن جونس ، عالم الكتب ، بيروت، ط / هـ- م .
- المنتقى لإبن الجارود : لأبي محمد عبد الله بن علي بن الجارود ، النيسابوري ، (ت هـ) ، تحقيق : عبد الله عمر البارودي ، مؤسسة الكتاب الثقافية ، بيروت ، ط / هـ - م .
-نظام الحياة في الإسلام : النظام السياسي ، ترجمة محمد عاصف حداد ، دار الفكر ، دمشق ، ط / هـ - م .